وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:UN2801202323994726678

رقم التسجيل:UN2801202323061082804

رحلات الحج من الغرب الإسلامي وآثارها بين القرنين 5 و10 هجريين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في: تاريخ الغرب الاسلامي

إعداد الطلبة:

* صلاح الدين مبرك
* الشاوي سبخة

إشراف الأستاذ:

أد. عبد الحميد عمران

لجنة المناقشة

د/ مصطفى بن حسين	أستاذ محاضر – أ–	رئيسا
أ د/ عبد الحميد عمران	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د/مراد ريغي	أستاذ محاضر – أ–	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/ 2023 – 2024م

باسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي عملي هذا لعائلتي الكبيرة لأمي وأبي رحمه الله إلى روح أمي الثانية . . . إخوتي

وأخواتي أبناء العمومة والأخوال وكل العائلة الكريمة

إلى أرواح شهدائنا الأبرار ومجاهدينا الأخيار

❤ إهداء خاص لعائلتي الصغيرة ❤

زوجتي وأبنائي

والله ولي التوفيق

صلاح الدين مبرك

إهداء

إلى التي غمرتني حبا وعطفا وحنانا . . .

أمي ثم أمي ثم أمي

إلى الذي من أجلنا كم يتعب . . . أبي

إلى الذين قاسمونا الحياة حلوها ومرها

إخوتي ، إلى زوجتي وأولادي

إلى كل شهداء فلسطين الحبيبة ، إلى الصامدين في غزة العزة

إلى كل من وسعته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي

أهدي ثمرة جهدي

الشاوي سبخة

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من صنع لكم معروفاً فجازوه، فان عجزتم عن مجازاته فادعوا له، حتى تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الله شاكر يحب الشاكرين "

نتقدم بالشكر الجزيل والعميق إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث وعلى رأسهم أستاذنا المشرف، "الاستاذ الدكتور عبد الحميد عمران"، وإلى أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفونا بمناقشة المذكرة. وإلى كل من علمنا حرفا لنسلك درب العلم، ونستقي من منابعه الوافرة

" أساتذتنا الكرام حفظهم الله ".

ونشكر كل من ساعدنا من قريب وبعيد حتى نخرج هذا العمل

إلى النور

مقدمة

إن الرّحلة وجدت مع الإنسان وتعدّدت أهدافها ومراميها، فنجد بعضهم ارتحل بدافع الاستطلاع والاكتشاف أو بقصد طلب العلم أو لأداء فريضة الحج وهذه الأخيرة تعتبر من أهم أنواع الرحلات عبر تاريخ العالم الإسلامي.

كان المسلمون من المغاربة يمارسون هذا النوع من الرحلات منذ القرون الهجرية الأولى، فقد دوّن بعض الرّحالة تلك الرحلات ومن هنا جاء موضوع الدراسة بعنوان رحلات الحج من الغرب الاسلامي وآثارها بين القرن ال5 وال 10 الهجري.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في التعرف على رحلات الحج وأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات في بلاد المغرب الإسلامي باعتبارها الطريقة التي يستطيع من خلالها المغاربة التنقل والحركة وزيارة المراكز العلمية في بلاد المشرق الإسلامي، هذا إلى جانب هدفها الرئيسي ألا وهو أداء فريضة الحج ذات الأهمية البالغة في نفوس المسلمين وعليه اخترنا أن نتعرف على رحلة الحج في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع نذكر:

– أهمية الحج باعتباره شعيرة دينية و ركن من أركان الإسلام الخمسة.

– أهمية الموضوع حيث وجدنا أن تسليط الضوء على رحلة الحج يفتح المجال واسعا للوقوف على دور رحلة الحج في الحياة الثقافية والفكرية.

– كذلك جدة الموضوع، فقد دلنا اطلاعنا على عدم وجود دراسات علمية أكاديمية متخصصة ومفصلة في مثل هذا الموضوع في حدود إطلاعنا.

– البحث والتعرف على نماذج من رحلات الحج.

– توضيح أهمية رحلة الحج والأهمية التي تكتسبها بلاد الحرمين في نفوس المسلمين.

أما هدفنا من خلال هذه الدراسة فهو التعرف على آثار رحلات الحج خلال هذه الفترة، وتسليط الضوء عليها، ومعرفة أهم الرحلات والرحالة.

كما تمحورت إشكالية الدراسة حول:

كيف تميزت رحلات الحج من بلاد المغرب الى بلاد المشرق خلال العصر الوسيط؟ وما تأثيرها على بلاد المغرب الإسلامي؟ وتحت هذه الإشكالية المحورية تفرعت عدة أسئلة من شأنها أن تقودنا إلى الإجابة عن الإشكالية السالفة وأهمها:

- ماهي دوافع الرحلة إلى الحج؟
- ما هي المسالك والصعوبات التي واجهتهم؟
- من هم الرحّالة الذين ارتحلوا لأداء فريضة الحج خلال القرنين الخامس والعاشر الهجريين؟ وللإجابة على هذه التساؤلات رسمنا خطة قسمنا فيها موضوع الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

بالنسبة للفصل الأول كان بعنوان رحلات الحج؛ المفهوم والدوافع والمسالك، فقد تطرقنا فيه إلى تعريف رحلة الحج ومقاصدها ودوافعها وطرقها وضبط للموقع الجغرافي لبلاد المغرب والمشرق الاسلامي.

أما الفصل الثاني فاحتوى على نماذج من رحلات الحج بين القرن الخامس والعاشر الهجري وفي الفصل الثالث والأخير تطرقنا إلى آثار رحلات الحج على بلاد المغرب الاسلامي من خلال مدّ جسور التواصل العلمي بين المغرب والمشرق وأهم المراكز العلمية والثقافية فيهما، ودورها في انتشار المساجد والمذاهب الفقهية.

أما المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج التاريخي لاستخلاص الحقائق التاريخية، وإعادة بنائها بصورة موضوعية من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية المتصلة بهذا الموضوع، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي، لوصف الأحداث والأماكن كما أوردتها المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث.

أما الدراسة النقدية للمصادر فاعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

كتب الطبقات والتراجم:

– كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي هو عبارة عن قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين والذي يحتوي على ثماني اجزاء تكلم فيه عن مجموعة من النساء والرجال وهو تراجم الأدباء وفقهاء وقضاة واطباء ومهندسين وغيرهم والذي تكمل اهميته بالنسبة للموضوع في أننا استعنّا به في الفصل الثاني لتراجم بعض الرحالة المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق ونخص هنا الجزء السادس.

كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفي سنة 494هـ/1102م

ويحتوي الكتاب على جوانب هامة في التاريخ الحضاري وكذلك تضمنه على نصوص حول ثقافة المجتمعات بالإضافة لاهتمامه بتفصيل ما أمكن من حياة المترجم لهم من فقهاء إفريقية ورحلاتهم وشيوخهم خلال القرن الثاني والثالث والذي استعنا به في معرفة من ارتحلوا الأداء فريضة الحج خلال القرن الثاني والثالث الهجريين وذلك في الفصل الثاني للمذكرة.

كتب الرحالة: نذكر منها

– العبدري الحيحي المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري الذي اشتهر برحلته المسماة ب "رحلة العبدري"، الذي قادته إلى الحجاز سنة 688هـ / 1289م، وسجل لنا عن الحياة الفكرية والثقافية لأهم الحواضر التي زارها وخطورة المسالك الرابط بين الحواضر التي مر بها.

– كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المتوفي سنة 749هـ / 1877م، وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والأحداث التاريخية كما تضمنت وصف لمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية للأقطار التي زارها في المغرب وحتى البلاد المشرقية عموما، ولقد استفدنا منه في الفصل الأول والثاني الخاصة بالمذكرة.

كتب التاريخ: نذكر منها:

" كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة 808هـ/1405م حيث قدم لنا معلومات غزيرة ومهمة في فترة الدراسة والذي يحتوي على ثماني أجزاء والاعتماد الكبير كان على الجزء السادس والسابع المعتمد عليه في الفصلين الأول والثاني الخاص بالمذكرة كما أنه يعتبر من رحالة القرن الثامن الهجري ولا يمكن أن نهمل كتابه المقدمة الذي عالج فيه مواضيع عديدة وبطريقة رائعة، حيث استفدنا منه كثيرا.

كتب الجغرافية: نذكر منها:

"كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لمحمد بن إدريس الحسيني المعروف بالشريف الادريسي المتوفي سنة 548هـ/1159 والذي يشمل معلومات كثيرة ومهمة في مجال الجغرافيا أي المدن والقرى والأماكن ولقد أفادنا في الفصل الأول وذلك بذكره لمعلومات دقيقة على بعض المدن والطرق والمسافات.

– كتاب "البلدان" لأحمد بن أبي يعقوب اسحاق الشهير باليعقوبي والمتوفي سنة 384هـ/797م والذي يشمل وصفا للمدن والبلدان التي زارها والذي أفادنا كذلك في الفصل الأول بذكره للمدن والقرى.

– كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل الذي يعتبر مصدراً مهماً لمعرفة المسالك والطرق وذكر الاقاليم والبلدان وذكر المسافات بينها الذي استعنّا به في الفصل الأول.

أما بخصوص المراجع فنذكر من أهمها:

– كتاب "الرحلات المغربية والاندلسية" للدكتورة عواطف محمد يوسف نواب هو عبارة عن دراسة تحليلية ومقارنة أسهمت في إلقاء الضوء على أهمية دراسة كتب الرحلات وأسلوبهم ومنهجهم الذي اتبعوه في تدوين رحلاتهم وتسجيل انطباعاتهم والذي أفادنا كثيرا في إنجاز مذكرتنا.

أما بالنسبة لصعوبات البحث:

فإن أي باحث قد تعترضه مجموعة من الصعوبات ومنها نذكر بعض ما اعترضنا:

– صعوبة الوصول إلى المادة العلمية، وقلة المصادر والمراجع المتناولة للموضوع.

الاعتماد على الاستنتاج في الوصول للحقيقة العلمية التاريخية، وهذا ما صعب علينا إنجاز البحث بكل جزئياته.

– كما وجدنا بعض الصعوبات والعراقيل لاسيما في مجال استغلال المادة العلمية والخبرية وبلورتها وجعلها تتلاءم وتنسجم مع الموضوع، لكننا حاولنا بما توفر لنا من إمكانيات أن نخرج هذا العمل الى النور بشكله الحالي ونرجو أن يجد القبول عند الباحثين والمهتمين بالتاريخ.

الفصل الأول:

رحلات الحج . . . المفهوم والدوافع والمسالك .

- المبحث الأول: المفهوم والمقاصد .
- المبحث الثاني: الدوافع والاهداف .
- المبحث الثالث: المسالك والصعوبات .

المبحث الأول: المفهوم والمقاصد.

المطلب الأول: تعريف الرحلة

- لغة:

لقد تعددت تعريفات الرحلة فنجد ابن منظور يعرفها كالآتي: الرحلة في اللغة هي الترحيل والارتحال ويقال: رحل الرجل إذا سار، وهي من يرحل رحلا ورحيلاً، ورحلة من بلد إذ خرج منها، ورحلا رحولاً وقوم رُحّل أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحّال عالم وذلك تمجيدا له والرّحل اسم للارتحال.

وفي معنى آخر نجد الرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقعد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنوا المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل. وبذلك يطلق لفظ رحلة على من انتقل من مكان إلى آخر ومنه نجد لفظ رحال: وهو الشخص المتنقل من مكان إلى آخر، فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل إلى غير مكان أو جهة، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر[1]. وكذلك جاءت في اللغة بمعنى السير والضرب في الأرض الترحيل والارتحال، يقال رحل الرجل إذ سار، وقوم رُحّل إذ يرتحلون كثيرا، ورجل رحّال: عالم بذلك مُجدّ له وإبل مُرحّلة عليها رحالُها، وبمعنى الانتقال والتنقل من مكان إلى آخر.

- اصطلاحا:

الرحلة هي الوسيلة الهامة لتحصيل المعارف وتوسيعها عن طريق لقاء العلماء، وهنا نجد ابن خلدون في مقدمته يعرف الرحلة فيما يلي: فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال[2] فالرحلة هي مخالطة الناس والأقوام ومصدر هام لرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، وكذلك للرحلات قيمة تعليمية للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ج 2، ص 609.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الفكر، بيروت،لبنان، 2001، ج1، ص 744.

الآخرين، ولم يرتبط مفهوم الرحلة بطلب العلم فقط، بل تعداه لأداء فريضة الحج، ومنه فإن الرحلة الحجية أو الحجازية، كما تذكرها بعض المصادر هي رحلة دينية يقصدها الرحالة بدافع أداء فريضة الحج، وهذا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [1].

المطلب الثاني: تعريف الحج:

– **لغة:** الحج بفتح الحاء ويجوز كسرها وهو القصد، حَجَّ إلينا فلان أي قدم وحَجَّه يحجُّه حجًّا قصده، وقال جماعة من أهل اللغة: الحج القصد المعظّم قال سيبويه: حجَّه يحجُّه حِجًا كما قالوا: ذكره ذكرًا. والحجيج: جماعة الحاج. قال الأزهري: الحَجُّ قضاء نُسك سنة واحدة، وبعض يكسر الحاء فيقول: الحِجُّ والحِجَّة. وقرئ: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ"[1] والفتح أكثر، وقال الزَّجّاج: يقرأ بفتح الحاء وكسرها والفتح الأصل.

– **اصطلاحا:** قصد مكة تعبدًا لله في زمن مخصوص لعمل مخصوص.

المطلب الثالث: مقاصد رحلات الحج

شرع الله في رحلات الحج مقاصد سامية وأغراض هامة لمصلحة الفرد والمجتمع والأمة ومنها:

1- تعظيم المشاعر المقدسة : الحرم المكي والمدني وما جاورهما لهما قداسة وتعظيم في نفوس المسلمين.

2-ذكر الله عز وجل فأول أذكار الحج التلبية والتوحيد واجتناب جميع أنواع الشرك.

3-التذكير بالآخرة فأعمال الحج وإعداد الحاج للزاد بالمال الحلال تذكر بزاد الآخرة وهو التقوى.

4-المساواة بين المسلمين فلباس الحجاج الموحد في الإحرام يضيق الفجوة بين الأغنياء والفقراء والكبراء والضعفاء.

5-إظهار عزة الإسلام فهرولة الحجاج دليل قوة جسمية تظهر عزة الإسلام وقوته.[2]

---

[1] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية، 97.

[2] **عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، من مقاصد الحج، دار كنوز اشبيليا، 1900م، ص ص 26-60.**

المطلب الرابع: الإطار الجغرافي للمشرق الإسلامي

1-المشرق: حدد ابن حوقل الإطار الجغرافي للمشرق الإسلامي في قوله: «وهي مملكة الإسلام، فان شرقيها أرض الهند وبحر فارس، وغربيها مملكة السودان السكان على البحر المحيط المتصلين ببراري اودغست وصحاريها تجاه اوليل، وشماليها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللاّن والرّان والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك ومن شمالها بعض مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الاتراك وجنوبيها بحر فارس[1].

2- **المغرب:** بالفتح، ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود افريقية الى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الاندلس، وجاء في التعريف بالمغرب كذلك، أما المغرب فيشمل كل ما يلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي وتتوسطه إفريقية[2].

وحسب ما اتفق عليه الجغرافيون والمؤرخون فقد قسمت هذه البلاد إلى أربعة اقسام وهي:

أولا- برقة وطرابلس:

وهما أول كورة من كور المغرب من جهة الشرق وبعض المؤرخين يدمج هذه الكورة بأفريقية وبعضهم يفصلها عنها وفي الغالب هذا القسم يعد من بلاد المغرب.

ثانيا- المغرب الأدنى أو افريقية:

سميت بالأدنى لأنها أقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام وبغداد، وحدها من برقة وطرابلس شرقا الى بجاية وهو الرأي الأصح وقيل الى مليانة وقيل حدها من برقة شرقا الى طنجة غربا ومن البحر المتوسط الى بلاد السودان[3].

ثالثا: المغرب الأوسط:

---

[1] إبن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م، ص 20.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج 5، ص 161.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص 12.

ويشمل بلاد الجزائر ، ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غربا ، وقاعدته تلمسان.

رابعا: المغرب الأقصى:

وعاصمة المغرب الأقصى ترددت بين مدينة فاس ومراكش ، ويشمل المملكة المغربية اليوم التي عاصمتها الرباط.[1].

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: المرجع السابق، ص12.

المبحث الثاني: دوافع رحلات الحج

تعد بلاد الحجاز مهد الحضارة العربية الإسلامية ومهبط الوحي، فالحج كان ولايزال رحلة يتشوق إلى أدائها الناس عامة والعلماء والفقهاء خاصة، ونتيجة لذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة دينية شعبية لأن الحجاج كانوا يتجمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو تدريجيا كلما تقدم بها الطريق بما ينضم إليها من وفود أخرى من كل بقاع الأرض، ولا ننسى أن الحج كان فرضا لازما على الفرد المغربي باعتباره مسلما[1].

ولا يقتصر حضوره ووقعه في الرحلات الحجازية فقط على مناسك الحج، بل كانت هناك دوافع أخرى كالتزود بالعلم وملاقاة العلماء، إضافة إلى ذلك هناك دافع التجارة الذي لا يقل أهمية على الدافع الديني والعلمي وحتى الدافع السياسي.

المطلب الاول: الدافع الديني:

لقد جعل الإسلام خمس أركان واجبة على المسلمين وخص الركن الخامس لأداء فريضة الحج، وهذه الفريضة واجبة على المسلمين ما لم يُعقهم عائق من ضعف صحة أو قلة مال، حيث كان الحج من أهم العوامل التي دفعت المسلمين من كل فج عميق إلى الرحلة والانتقال، لذلك كانت رحلة يتحمس إلى أدائها كافة الناس بدون تمييز بين شرائح المجتمع، ونتيجة ذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية تحكي لنا كتب التاريخ ومذكرات الرحالة تفاصيلها[2].

وقد قام المسلمون المغاربة بتلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغال، وقبل أن يحين موسم الحج بشهور تتشوق القلوب منطلقة إلى البيت الحرام[3].

كما يُعد الحج أعظم بواعث الرحلات فألوف المسلمين يتوجهون كل عام من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الحُجّاج عند عودتهم إلى الديار يُخبرونهم عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي

---

[1] نواف عبد العزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن للهجرة، دار الأهلية، أبوظبي، 2008م، ص 24.

[2] حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1989 م، ص15.

[3] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 33.

صادفوها، ومنهم من يدوّن مشاهداته فيصف رحلاته لتكون لغيره وصفا لمن لم يكن متواجدا هناك وتلفت النظر لأولي الأمر لتنبيههم على ما يجب إصلاحه[1]، بالإضافة إلى أداء فريضة الحج كان هناك دافعا آخر شجع الرحالة المغاربة على جوب الأقطار الإسلامية وهو الرحلة الصوفية التي تدخل ضمن الدافع الديني، هذا الأخير الذي جذب الكثير من الرحالة واستقطب العديد منهم، حيث أسهمت الطرق الصوفية في تغذية العوامل التي لها علاقة بالرحلة وعُدّت سببا في الرحلة الحجية[2].

وقد يكون من الدوافع الدينية للرحلة أيضا الاتصال بالشيوخ من أجل التبرك بلقائهم والفوز بدعواتهم وأكبر مثال لذلك ابن بطوطة الذي كان من دوافع رحلته بعد أداء فريضة الحج وأيضا التبرك بولي صالح ذكر له أو متعبد منقطع في زاوية أو خلوة[3].

وأيضا الجهاد في سبيل الله دافع ديني جعل المغاربة يتوجهون نحو المشرق فيؤدون فريضة الحج، ولكن قصدهم الحقيقي الجهاد في سبيل الله خاصة فترة الحروب الصليبية[4].

المطلب الثاني: الدافع العلمي

الدافع العلمي لزم الرحلات منذ البدايات الأولى لانتشار الإسلام، ذلك أن الرحلة في طلب العلم من الممارسات التي أكد عليها الدين وطالب بها أفراده، فقد كان من المعتقد أن اكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة إليه، وهذا ما أكده ابن خلدون في مقدمته الشهيرة في أن "الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم...فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مختلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم"[5].

وإذا كانت الرحلة ذات دافعين في الوقت نفسه، أي ترافق الدافع الديني عندهم مع دافعهم العلمي، يجعل من الرحلة الحجازية لدى المغاربة أكثر تنظيما وأَجَلُّ قدرا وأَغزَرُ نفعا.

---

(1) زكي محمد حسن: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1402هـ/ 1981م، ص 08.

(2) ابن قنفذ القسنطيني ابن العباس أحمد الخطيب: أُنس الفقير وعزّ العقير، نشر وتصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص ص 67، 103.

(3) ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة النُّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987م، ج 1، ص 288.

(4) نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، من 28.

(5) ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ج1، ص 744.

والملاحظ أيضا حرص مدوني الرحلات الحجازية من المغاربة على تسجيل أخبار الركب وسرد وقائعه، مع عناية خاصة بذكر أخبار العلم والعلماء والأدب والأدباء، إذ كان لقاء الشيوخ بغرض الأخذ عنهم والسماع منهم هو الهدف الثاني الذي كانوا يرومون تحقيقه بعد أداء فريضة الحج، حيث كان علماء بلاد المغرب يجالسون علماء المشرق الذين وفدوا إلى الحج لنفس الغرض فيتشاورون في أمور دينهم ودنياهم في العلوم الدينية المختلفة كالفقه والحديث[1].

فالحج أكبر وأعظم مؤسسة علمية منحها الإسلام للمسلمين عامة وللمغاربة خاصة حيث كان مرجعية مهمة لثقافتهم وعلمهم لأن المغاربة كانوا على مذهب الإمام مالك وهذا المذهب هو مذهب أهل المدينة[2].

فالرحلة الحجازية أخذت منهجاً علمياً وذلك بظهورها في رحلة أبي محمد العيدري وذلك بأخذه الصدارة في التعريف بالعلماء الذين التقى بهم ووصفه المكتبات ودور العلم التي زارها[3]، وأيضا رحلة ابن رشيد والبلوي وابن خلدون وصار من المألوف اتجاه المغاربة في أغلب الأحوال إلى المشرق للتتلمذ والأخذ عن العلماء لأنهم يعدون المشرق منبع العلوم والمعرفة بشتى أنواعها وهذا الذي ترك في نفوس المشرقيين أثر في لقاء المغاربة والتحاور معهم[4]، وهذا كله ظهر في الرحلة الحجازية ودافعها العلمي[5].

المطلب الثالث: الدافع التجاري:

لم تقتصر دوافع الرحلة على التزود بالعلم ومقابلة الشيوخ من العلماء فقط. كما لم تقتصر على أداء فريضة الحج بل كانت لها دوافع تجارية إذ كانت التجارة أمرا ضروريا يقتضيه الرحالة للقيام بالرحلة وأعبائها والسفر"[6] وهي التي يتخذها المغاربة هدفا ثالثا حيث

---

(1) بشير رمضان البليسي: الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، ط1 دار المدار الإسلامي، بيروت،، 2004، ص252.

(2) الهادي التازي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج 1 مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 2005، ص 252.

(3) حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 14.

(4) نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 28.

(5) مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م، ص 10.

(6) حسين محمد فهيم: المرجع السابق، ص 80.

يستفيد الرحالة من رحلتهم أثناء الطريق لأداء فريضة الحج فيقومون بالتبادل التجاري ويعقدون الأسواق في حواضر الدول الإسلامية كالعراق والشام ومصر[1].

حيث يعد المغرب موقعا مهماً للطرق التجارية الكبرى مما أدى إلى السفر والتنقل من مكان لآخر وربط علاقات تجارية مع المشرق خاصة كالحجاز فنجد أهل مكة المكرمة قد اتجهت أنظارهم للتجارة بحكم موقعها المهم والبارز منذ أقدم العصور[2].

كما قال الله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام " **ربّنَا إنّي أَسْكَنتُ مِن ذُرّيَتّي بِوَادٍ غير ذي زرع عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا ليُقِيمُوا الصَّلاة فاجعل أفئدة مِنَ النَّاسِ تهوي إِلَيْهِمْ وَارْزُقهم مّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**"[3].. فهذا جعلها منطلق التجارة وغدت ذات مركز مالي هام في الحجاز، وسوقاً للتبادل التجاري وهذا ما جعل الرحالة المغاربة يرتحلون قبل الحج بفترة من أجل المشاركة في هذه الأسواق وتأكيد ما تضمنه هذا الوصف من الوضع التجاري المزدهر بمكة المكرمة زيارة ابن جبير للحجاز حيث يصفها على أنها ملتقى الحجاج والتجار في قوله: وذلك أن أفئدة الناس تهوى إليها من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة فالطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة والثمرات تجيء إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر[4].

فالرحلة الحجازية كان من أهدافها التبادل التجاري وزيارة الأسواق المتعددة في الشرق الإسلامي وفي المحطات الهامة أثناء الطريق لأداء فريضة الحج لكن قلة المصادر في هذا الشأن جعلت الدوافع الأخرى – الدينية والعلمية – أكثر أهمية لتوفر المادة المتناولة لها.

المطلب الرابع: الدافع السياسي

والذي في مضمونه يخص مهام السفارة والعلاقات السياسية بحيث أن السفارة ساهمت في تكوين علاقات سياسية بين الدول في العالم الإسلامي وهذا كله جعل فريضة الحج سببا في تطوير هذه العلاقات وتمثلت في السفارة التي يعد مضمونها مسؤولية وتكليف ووضع

---

[1] عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من طرف تاريخ الحجاز في القرنين سابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،1996م، ص 30.

[2] حسين محمد فهيم: المرجع السابق، ص ص 80، 81.

[3] القرآن الكريم سورة إبراهيم الآية 37.

[4] ابن جبير : رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص ص96، 97.

تعليمات موضع التنفيذ أكثر من أي شيء آخر وظهر هذا الشكل في الرحلات الحجازية بعد تجاوزها هدفها الرئيسي ألا وهو أداء فريضة الحج [1].

وهكذا كانت رحلة السفارة واحدة من أكثر الرحلات تخصصا في مهامها الوظيفية والتي تلبي حاجة تكليف رسمي في الدولة وتكون معينة بأمر من أمور الدولة أو التكليف في شأن من شؤون نظام الحكم المباشر أو غير المباشر[2].

ولطالما كان للرحلة الحجازية دافع في تكوين علاقات مع المشرق الإسلامي ودليل ذلك نشاطات السفارة المغربية مع المشرق في عهد الدولة المرينية فالقائمون بالأمر كانوا يغتنمون الركب الحجازية فيبعثون في صحبته سفراء لإيصال الرسائل والهدايا والمصاحف سواء إلى المساجد المشهورة في المشرق أو إلى الحرمين المكي والمدني ومن أمثلة ذلك قيام السلطان أبي يوسف يعقوب المريني بإرسال مصحف إلى ملك الحجاز أبو نمي الأول[3] بعد عزم أهل المغرب على أداء فريضة الحج في سنة 703هـ.

ومنه نستنتج أن الدافع السياسي كان له دور مهم في الرحلة الحجازية وذلك بتطوير العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي وتكوين صلحاء لجانبهم.

المبحث الثالث: المسالك والصعوبات

كانت معظم قوافل الحجيج المغربي تنطلق من حواضر بلاد المغرب الإسلامي، سواء المغرب الأقصى أو الأدنى أو الأوسط، متجهة نحو الحجاز، فكانت تمر بالطريق بقصد تحقيق هدف علمي أو تجاري...إلخ، ومنه قسمت طرق الرحلة إلى نوعين بري وبحري.

المطلب الأول: المسالك والطرق

1-الطريق البري: تنطلق القوافل من الحواضر المغاربية متجهة نحو مصر، حيث كان هناك طريقان يسلكهما الحجاج في هذه الفترة ومن أهم هاته الطرق هي:

---

[1] نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 28.

[2] صالح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1999م، ص94.

[3] أبو نمي الأول: وهو محمد بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استبد بحكم مكة لم يعين وليا للعهد من بعده فتتنافس بينه على الحكم من بعده فحكم مكة إلى أن توفي... للمزيد ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1992م، ص 401.

طريق من سجلماسة إلى بلاد مصر حيث يقدر الإدريسي مسافة هذا الطريق ثلاثة وثلاثون مرحلة([1]) وسبعة أيام[2].

- الطريق من برقة إلى مصر وهي الطريق الأكثر استعمالا من الطريق السابق الذكر بحيث يقدر الإدريسي مسافة من برقة إلى الإسكندرية إحدى وعشرين مرحلة وهو طريق مستقيم خالي من الالتواءات لكونه طريقا صحراويا خاليا من الحواجز الطبيعية كالتضاريس والجبال، ومن برقة إلى الإسكندرية إحدى وعشرين مرحلة وهي من الأميال خمس مائة ميل وخمسون ميلا.... ومنه تخرج القوافل بعد وصولها إلى مصر تتجه نحو بغداد ويقدر الطريق بينهما خمسمائة وسبعون فرسخ تكون ألف وسبعمائة وعشر أميال[3]، وهناك قوافل أخرى تأخذ الطريق من مصر إلى مدينة يثرب، تنطلق من مصر إلى العريش مرورا بالعديد من المناطق إلى أن تصل مدينة يثرب[4].

ويعتبر الرحالة ابن بطوطة من أوائل الرحالة الذين عبروا هذا الطريق، حيث يقول سافرت من مسقط رأسي متجها نحو مصر... ثم سافرت إلى مدينة أشمون الرومان..... ومنها مررت إلى مصر ثم وصلت إلى مدينة مصر، ثم سرنا حتى وصلنا مدينة غزة، ثم اتجهت نحو الشام ومنه دخلنا الحرم الشريف، وانتهينا إلى المسجد الكريم ومنه إلى مكة المكرمة[5]، وهناك من عبروا عدة طرق أخرى منها طريق الكوفة والبصرة ودمشق وفلسطين الرابطة بينهم وبين المدينة المنورة[6].

كانت القوافل تنطلق من المغرب ثم مصر نحو هذه المناطق حيث قدرت المسافة بينهم وبين المدينة المنورة بالمسافة بين الكوفة إلى المدينة المنورة، نحو عشرين مرحلة وطريق البصرة إلى المدينة يقدر ثماني عشر مرحلة ويلتقيان مع بعضهم بقرب معان، ومن دمشق إلى المدينة، ويلتقي الحجاج بالمدينة المنورة لتأدية زيارة الروضة، قبر الرسول صلى الله

---

(1) تقدر المرحلة في بلاد المغرب وبالخصوص في عهد الحفصيين ورثة الموحدين ب 30.000 متر انظر نجاة باشا: التجارة في بلاد الإسلام من القرن الرابع إلى القرن الثامن من الهجري، منشورات الجامعة التونسية، م1979، ص 95.

(2) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2002م، ص 295.

(3) الحسن الوزان : وصف افريقية، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص 344.

(4) الإدريسي : المصدر السابق، ص 345.

(5) فواد الخورية: مختصرات من تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار النهضة، 2006م، ص10.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص 312.

عليه وسلم، ومنه يتجهون نحو مكة إلى المسجد الحرام، حيث تقدر المسافة بينهما بنحو عشر مراحل.

ونجد أيضا ابن بطوطة رحل مرة أخرى عن طريق الشام حيث خرج من المغرب متجها نحو مصر ثم إلى بلاد الشام وسلك طريق الحجاج إلى الأردن في قوله: ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر الشام ونزلنا عقبة الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها داخلها مفقود وخارجها مولود"[1].

وقد سارت القافلة التي كان الرحالة ابن بطوطة منبعها، حيث وصلت إلى تبوك ثم ساروا حتى وصلوا إلى بحر الحجر ثم رحل الركب وبعدها نزلوا بالوادي المعروف بالعطاس وفي عشية ذلك اليوم نزلوا بالبلد المقدس مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

الطريق البحري: بالإضافة إلى الطرق البرية كانت هناك طرق بحرية حيث كانت الركب، تنطلق من الموانئ المغربية على البحر الأبيض المتوسط وصولا إلى مصر، ومن مصر إلى عين شمس مرورا بعدة مسالك إلى أن يصلوا بطن مكة المكرمة وتقدر المسافة بينهم وبين المدينة نحو ثلاثين مرحلة[3] يعتبر الرحالة ابن جبير من أوائل الرحالة الذين سلكوا هذا الطريق وذلك سنة 579هـ، وقد قطع هذه المسافة بين القاهرة والمدينة، حيث استغرق فيها مدة شهرين ونصف في أسوء حال وذلك مما واجهه من معاناة ومشقة أثناء الطريق.

وهناك من ينطلق من مصر إلى فلسطين ثم إلى المدينة عن طريق الساحل، ولأهل مصر وفلسطين طريقان إلى المدينة المنورة طريق بري ذكر سابقا وبحري يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بهما أهل العراق وفلسطين ومصر.... وغيرها من الأقطار العربية متجهين نحو المدينة المنورة[4].

المطلب الثاني: الصعوبات والمعيقات

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 17.

[2] محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، دار الأندلس الخضراء، السعودية، مج1، 2000م، ص 228،

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص 348.

[4] ابن جبير: المصدر السابق، ص ص 34، 45

تعددت المعيقات والمشاكل التي كان يواجهها الحجاج المغاربة أثناء رحلتهم لأداء فريضة الحج، فتنوعت المتاعب منها من تسبب فيها الأشخاص، ومنها من كانت الطبيعة سببها.

1- المعيقات البشرية

تعرض الحجاج المغاربة للعديد من الاعتداءات من قبل اللصوص وقطاع الطرق والسبب في ذلك تهاون الدول في مراقبة طرق الحجيج، خاصة في فترة الحروب والنزاعات السياسية، إذ تصبح المدن في هاته الفترة مهددة من طرف العصابات وقطاع الطرق، خاصة وأنها تعاني من أزمة بطالة وفقر.

وقد كان الأعراب مصدر قلق للحجاج، خاصة في الطريق بين مصر والحجاز[1] لذلك كانت القوافل المغاربية تتعرض للنهب والسرقة والتعدي في مصر، وهذا ما أكده العبدري في رحلته حيث يصف أهل المنطقة "وما رأيته بالمغرب الإسلامي والأندلس على شكاسة أخلاقهم، وبأرض الشام والحجاز فريقا من الناس أرذل أخلاقا وأكثر لؤما وحسنا ومهانة نفوس... وأشد خيانة وسرقة وقساوة منهم"[2]، ثم يرجع يتكلم عن طبيعتهم مع الغريب في قوله" وأحفى للغريب من أهل هذه المنطقة... فترى الشيوخ منهم يتهاوشون في الطرقات"[3].

بالإضافة إلى فرض المكوس والضرائب على الحجاج مما كان يعيقهم أثناء رحلتهم لأداء فريضة الحج[4].

ومن المعيقات التي كان الحجاج يتعرضون لها المعاملة السيئة لبعض القوافل المغربية في الحجاز، كرفع أسعار بعض السلع ومنعهم من الإقامة داخل الخيم القريبة من الحرم المكي والمدني وهذا ما جعل الحجاج إذا اتجهوا إلى أداء هذه الفريضة كانوا غالبا يأخذون سلاحهم في أيديهم وكأن الحرب تنتظرهم لزيارة بيت الله الحرام الذي أَمَّنَ الله فيه حياة الإنسان والكائنات الحية الأخرى.

---

(1) علي إبراهيم الكردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص 131.

(2) العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغاربية،تق: سعد بوفلاقة،ج1، منشورات بونة، الجزائر،2007م، ص30.

(3) المرجع نفسه،ص31.

(4) ابن جبير: المصدر السابق، ص ص 39، 40.

كما كان للأزمات السياسية دور في تأخر رحلات الحج التي تعد من المشاكل التي يتعرض لها الحاج المغربي في المغرب، فنجد ما قامت به الدولة الحفصية اتجاه الدولة المرينية عندما قامت بتعطيل القوافل الحجية من السير[1].

وإلى جانب هاته المعيقات كانت هناك محاكم تفتيش تقوم بها جماعة من الأشخاص داخل الركب المغاربي، وكانت لها آثار سلبية حيث كانت تعتقل الرُّحَّل أثناء سيرهم، ولقد تحدث عنها ابن جبير في رحلته حيث يقول: "ومن أشنع ما شهدنا من ذلك خروج أعوان الزكاة في أيديهم المسال الطويلة ذات الأنصبة فيصعدون إلى المركب لاكتشاف ما فيها ولا يتركون عزارة إلا ويتخللونها بذلك المسال على الرغم من أن تلك العزار لا تحتوي إلا على بعض الزاد وقليل من المال"[2].

2- **المعيقات الطبيعية:**

على غرار المعيقات البشرية التي كان يتعرض لها الحاج، هناك معيقات طبيعية تعرضت لها القوافل الحجية، تمثلت في العواصف المملؤة بالأتربة والغبار مما يعطل مسير القوافل لعدم وضوح الرؤية، وقد يؤدي إلى ضياع الطرق في معظم الأحيان، مما يضطر القوافل إلى تغيير مسارها وسلك طرق جديدة، وقد تكون هذه الطرق أصعب وأكثر مشقة من الطرق الرسمية[3].

وفي كثير من الأحيان تسلك الركب الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة والمفترسة، مما يؤدي إلى تعطيل مسارها ويضطر الكثير من الحجاج للعودة بأدراجهم إلى بلاد المغرب خوفا على أنفسهم[4] وإن أكملوا مسيرتهم ينفقون لذلك ما اصطحبوه من مال[5] وإن سلك الركب طريق البحر كثيرا من الأحيان يتعرض للعديد من المشاكل أهمها الرياح التي شكلت عائقا كبيرا أمام الرحالة المغاربة.

---

(1) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة،1991م،ص ص 39، 40.

(2) ابن جبير: المصدر السابق، ص ص 38، 39.

(3) سليمان عبد الغني مالكي وسعد الدين أونال: تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين دراسة تاريخية ميدانية، مركز أبحاث الحج مكة المكرمة، ص 70.

(4) سليمان عبد الغني وسعد الدين أونال: المرجع السابق،ص71.

(5) المرجع نفسه، ص72.

وفي هذا يقول ابن جبير: "وفي ليلة الأربعاء بعدها من أولها عصف علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه سهام، فعظم الخطب واشتد الكرب وجامنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة"[1].

وتتجه لذلك بقية السفن المغاربية بمرسى جدة فترة لركود هذه الرياح، فكانت مدة بقاء هذه الركب مدة طويلة تقدر أحيانا بشهر كامل، وهذا ما يؤدي إلى سوء العيش واختلال الصحة لعدم وجود أغذية كافية، وكذلك عدم وجود مياه صالحة للشرب.

حتى أصبح الحجاج يسيرون بدون دليل لشدة الرياح ويقول العبدري في هذا الصدد: "...فسرنا معها فلما وصلنا إلى موضع تحقيق الخوف ونحن لا نعرف سواء الجادة المخرفة ظهر لنا أن نخاطر في ركوب متن الغلاة بلا دليل وذلك إلى حين غروب الشمس"[2].

---

[1] ابن جبير: المصدر السابق، ص 100.

[2] محمد العبدري: المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثاني:

نماذج من رحلات الحج المغاربية .

- المبحث الأول: رحلة الحج في العهد المرابطي (القرن الخامس والسادس هجري) .
- المبحث الثاني: رحلة الحج في العهد الموحدي (القرن السادس والسابع هجري) .
- المبحث الثالث: رحلة الحج في العهد الزياني (القرن السابع والعاشر هجري) .

المبحث الاول: رحلة الحج في العهد المرابطي (القرن الخامس والسادس هجري)

المطلب الاول: رحلة الحج في العهد المرابطي (القرن الخامس هجري)

1- أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (ت 543هـ):

يعرف بابن العربي، ولد ابن العربي سنة 468هـ، ورحل إلى بلاد المشرق مع أبيه للحج وطلب العلم، وهو لا يزال حديثا في سن الشباب[1]، وفي عودته انصرف إلى التدريس والتأليف حتى سنة 528هـ، تولى قضاء اشبيلية في عهد يوسف بن تاشفين الذي دعاه إلى تولي القضاء فحسنت سريته وعدله فأثار حفيظة بعض صغار فقهائها، وسعوا به عند الأمير فانصرف عن القضاء، ثم انتقل إلى قرطبة وتفرغ للتدريس والتأليف ثم عاد إلى اشبيلية سنة 537هـ بعد سقوط دولة المرابطين[2]، وفي رحلته إلى بلاد المشرق سنة 485هـ لقي الكثير من العلماء والفقهاء في المهدية والإسكندرية وغيرهما، ومن أهم مؤلفاته كتاب " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة " إلا أنه لم يجمع كله حتى الآن[3]، ويعتقد بوجود نسخة منه في مكتبة عماد التوبي بالرباط وكان الغرض من هذه الرحلة هو تلقي العلم والاتصال بالشيوخ، بينما كان غرض والده من هذه الرحلة هو أداء فريضة الحج، توفي ابن العربي سنة 543هـ في عودته إلى الأندلس بالقرب من فاس ودفن فيها[4].

2- أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت730هـ):

يُعَدُّ من أشهر الرَّحّالة المغاربة إلى بلاد المشرق في طلب العلم وأداء فريضة الحج، رحل التجيبي إلى المشرق وطالت إقامته هناك ليتوسع في الرواية، وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من 130 عالما، ومن أعيانهم المشرقيين: أبو طاهر السلفي الذي أخذ عنه الكثير من العلم والمعرفة وعندما عاد إلى المغرب عني بالعلم والمعرفة إلى غاية وفاته730هـ([5]).

---

[1] أحمد رمضان احمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة عين شمس، ص 322.

[2] علي إبراهيم الكردي: أدب الرحل في المغرب والاندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2013م، ص20

[3] أحمد رمضان احمد: المرجع السابق، ص322.

[4] علي ابراهيم الكردي، المرجع السابق،ص21.

[5] أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص160.

3- ابو إسحاق إبراهيم التنسي (ت 680هـ):

درس التنسي في مسقط رأسه في تنس ومليانة والشلف، وقرأ بمدينة تلمسان وبجاية وتونس والقاهرة وفي مصر عرض عليه الأمير المصري الصالح (الطبرسي) وظيفة التدريس في المدرسة الجديدة ولكن أبا إسحاق اعتذر منه على هذه الوظيفة، وكان أبو إسحاق كثير الزيارات في مختلف البلدان، وترك سمعة علمية طيبة في مختلف الأقطار التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء[1].

4- الشنتريني محمد بن عبد الملك المغربي (ت549هـ):

يُعرَفُ بابن السَّرّاج، ويكنى أبا بكر أخذ العربية عن أبي العافية وابن الأخضر، رحل إلى المشرق فنزل بمصر وقرأ بها وحدَّثَ ثم انتقل إلى اليمن[2]، ولقد قام ابن السرّاج الشنتريني بحَصر أبيات المعاني أو الأبيات المُشْكلة مع أبيات السرقات للمتنبي، وقد جمع فيه السرّاج جهود سابقيه في هذا المجال منذ ابن جنّي إلى وقته وزاد عليها حتى بلغ عدد الأبيات نحو خمسمائة وأربعون بيتا[3].

المطلب الثاني: رحلة الحج في العهد المرابطي (القرن السادس هجري)

1- محمد إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي التلمساني (ت665هـ):

من الرَّحّالة التلمسانيين الذين رحلوا إلى بلاد المشرق لطلب العلم ولقد استقر بالإسكندرية واشتهر فيها بنشر العلم والتدريس وعرف بالتصوف والصلاح[4].

2- ابن جُبَيْر (614هـ):

البَلَنْسي الأصل الغرناطي الاستيطان ولد ابن جُبَيْر سنة 540م ببَلَنْسيَة من شرق الأندلس[5] وقيل أن مولده كان سنة 539هـ في شاطبة أو بلنسية[1]، واستقر مدة بالعَدْوَة

---

(1) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ص329.

(2) عطايلية شيماء، درارجة رانية: الرحلة العلمية للمغاربة الى المشرق من القرن 1-6هجري،مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة8ماي1945، قالمة، ص52.

(3) محمد ابن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص135.

(4) صحراوي ربيعة: رحلة علماء المغرب الاوسط مشرقا وتأثيرها في الحياة الثقافية بالمغرب "عهد الموحدين"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة 2019/2018م، ص75.

(5) علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص32.

المغربية فعُدّ منها، ولقد كان ابن جبير من الرحالة المشهورين في ميدان الرحلة وخاصة بين رحالة المغرب نهج على منواله واقتبس منه الكثير من الرحالة والمؤرخين الذين أتوا بعده، وكانت لرحلة ابن جبير تسميتين "رحلة الكناني" أو "رحلة ابن ابن جبير" ويعتبر من أول مخطوط وجد له كان بتسمية "رحلة ابن جبير"[2]، كانت رحلة ابن جبير نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري، وهي رحلة ذات قيمة أدبية وتاريخية بامتياز وتعد كنزا حافلا بالمعلومات الجغرافية والتاريخية[3].

3- الشريف الإدريسي (ت560هـ):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ينتمي إلى بيت الأدارسة العلويين، ولد سنة 493هـ وتلقى علمه بقرطبة وبدأ أسفاره في سنّ مبكّر حيث شدّ رحاله إلى المشرق سنة 510هـ، وبدأ بزيارة مصر فأقام بها وخرج إلى الحج وطلب العلم ثم رحل إلى الحجاز[4]، ولم يهتم الإدريسي بالفقه والحديث، وإنما اهتم بالعلوم العقلية من حساب وهندسة وحتى الفلك، ومن أهم مصنفاته كتاب" **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"، وكتاب" **روض النفس** "، وله مصنفات عديدة ويعد كتابه "**نزهة المشتاق**" من أعظم المصنفات في العصور الوسطى في الجغرافية، فيه تفصيل أحوال الأمم والسكان وبيان لكل بلدة من عجائب البنيان والآثار، وكان لا يتوقف عند وصف العالم الإسلامي بل يضم إليه وصفا دقيقا للعالم المسيحي في أوروبا، وكان الرحالة الإدريسي صاحب همَّة علمية ونبوغ في علم الجغرافية ورسم الخرائط([5]).

---

[1] عواطف محمد يوسف النواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدرمن مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص266.

[2] علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص32.

[3] سعاد النعيمي، سهام يحياوي: الرحلات الأندلسية إلى بلاد المشرق الإسلامي من خلال كتاب نفح الطيب، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2021/2020م، ص27.

[4] عطايلية شيماء، درارجة رانيا: المرجع السابق، ص56.

[5] خولة عميرة، إيمان بوقفة: صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة للحسن الوازن "وصف افريقيا"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، كلية الاداب واللغات الاجنبية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 2020/2019م، ص48.

المبحث الثاني: رحلة الحج في العهد الموحدي (القرن السادس والسابع هجري)

1- رحلة ابن رشيد الفهري (ت721هـ)

هو محمد بن عمر بن ابن عمر ادريس بن سعيد بن مسعود بن محمد بن رشيد أبو عبد الله الفهري السبتي[1]، ولد سنة 658هـ وتوفي721هـ بفاس[2]، كان حافلا بالمعارف وحلقته زاخرة بما تعلمه من شيوخه في سبتة وقرطبة والمرية والجزيرة الخضراء، ولما جاء إلى بجاية وتلمسان وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة واتصل بشيوخها صارت قدمه في العلم أكثر شيوعا، ولاشك في أن السنوات الثلاث التي قضاها في التنقل والاستفادة من العلم كانت كافية في نبوغه وتحصيله"[3].

قرأ ببلدته سبتة على يد الأستاذ الإمام الفقيه ابن الحسن ابن أبي الربيع " كتاب سيبويه " وقيّد على ذلك تقيدا مفيدا، وأخذ عنه القراءات ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقي المشايخ عام 688هـ وأخذ عن الجلّة الذين يشُقّ إحصاؤهم منهم الرّاوي العدل أبا محمد عبد الله بن هارون والحسن حازم بن محمد القرطاجني، وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر وأبي العز عبد الرحمن بن هبة الله وغيرهم.

2- رحلة أبي عبد الله الحيحي العبدري (ت720هـ):

محمد العبدري هو محمد بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله الحاحي، المشهور بالعبدري نسبة إلى عبد الدار، وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب الرحلة المؤرخة باسمه رحلته من بلنسية بالأندلس وكان يسكن ببلدة حاحة بالمغرب الأقصى، وبسكرة بالمغرب الأوسط، قام العبدري برحلته إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ومن أجل طلب العلم التي ابتدأها سنة 688هـ، وكان خروجه من بلاد حاحة مسافرا عن طريق البر نحو تلمسان مارا بالجزائر إلى تونس ثم طرابلس ومنها إلى الإسكندرية، ثم توجه إلى القاهرة فغادرها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عن طريق العقبة، ليعود إلى

---

[1] الصفدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص214.

[2] البغدادي: هدية العارفين، م2، ص144.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج9، ط1، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1925م، ص760، 761.

(4) العبدري: المصدر السابق، ص 7،

مصر عن طريق فلسطين ثم إلى المغرب، انتقل إلى مراكش التي كانت مركزا علميا مرسوما آنذاك فأخذ عن ثلة من علمائها أمثال: محمد بن علي بن يحيى الشريم الذي كان شيخه[4].

3- رحلة ابن سعيد المغربي (ت685هـ):

هو علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عثمان بن عباد الله بن سعيد بن عمار العنسي، أصله من قلعة يحصب غرناطي، وسكن تونس، وكان يعرف بأبي سعيد المغربي جاب المشرق والعراق والشام والديار المصرية، ومن العلماء الذين تتلمذ عليهم وأخذ عنهم (ابن رشد والحافظ أبو بكر بن الجد والطبيب أبو بكر بن زهر والفقيه أبو الوليد)، ألف أبو سعيد المغربي العديد من المؤلفات في مجال الجغرافيا والرحلات والأدب والتاريخ على نحو عكس ارتفاع شأنه وصال وجال بين مختلف الأصقاع[1].

المبحث الثالث: رحلة الحج في العهد الزياني (القرن السابع والعاشر هجري)

4- رحلة ابن بطوطة (ت779هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله[2] بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المكنى بشمس الدين المعروف بابن بطوطة، عرفت أسرته بالتربية والعلم والأدب، تولى القضاء وتعلم علوم الدين والفقه واللغة وحفظ القرآن[3]، وقد اتسمت رحلاته بالصعوبة فاستمرت قرابة 30عاما على الغالب في ثلاث رحلات، وكان الدافع لرحلاته نشر الدين وأداء فريضة الحج، وتحدد هذه الرحلات الثلاث من مدينة طنجة عام 725هـ جاب فيها الساحل الشمالي لافريقيا ومصر والعراق وعمان والبحرين وأفغانستان، أما الرحلة الثانية فتوجه فيها شمال بلاد الأندلس وأقام بغرناطة تم عاد إلى المغرب، وفي الرحلة الثالثة

---

(1) عواطف محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص58.

(2) خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج6، دار العلم للملاين، بيروت، 2006، ص15.

(3) الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1895 ج2، ص132.

753هـ إلى وسط القرى، وعاد سنة 754 م"[1] التقى خلال رحلاته بعشرات العلماء والفضلاء، توفي عام779هـ في طنجة.

5- رحلة البلوي (ت780هـ):

هو خالد بن عيسي بن احمد بن ابراهيم بن أحمد بن خالد البلوي المعروف بأبي البقاء من أهل فتورية من حصون وادي المنصورة[2]، وينسب البلوي إلى أسرة علمية نشأ في وسط علمي مع تربية دينية صالحة رحل البلوي إلى المشرق للحج وطلب العلم من كبار العلماء، وبعد عودته إلى الغرب الإسلامي أصبح من رجال العلم والأدب[3]، ولم تكن رحلة البلوي لبلاد الحجاز وحيده، بل كانت هناك رحلات التقى فيها العديد من علماء الدين، وكانت الثانية إلى بلاد المشرق والتي دون فيها كتابه المعروف "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" وأما الثالثة فكانت في المشرق والأندلس وفي غرناطة وغيرهما من البلدات[4].

---

[1] إغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، 1957، ص ص 421، 422.

[2] البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تقديم وتحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة بالمغرب، ج1، ص58.

[3] عواطف محمد نواب، المرجع السابق ص ص 136، 137.

[4] نواف عبد العزيز حجمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن سادس الى القرن الثامن هجري، ط1، دار السويدي، دار الأهلية، أبو ظبي، 2008م، ص59.

الفصل الثالث:

أثر رحلات الحج على بلاد المغرب الإسلامي .

- المبحث الأول: المراكز العلمية والدينية في المشرق الإسلامي .
- المبحث الثاني: التواصل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب الإسلامي .
- المبحث الثالث: أثر رحلات الحج على الحياة الدينية ببلاد المغرب الاسلامي .

الفصل الثالث: أثر رحلات الحج على بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: المراكز العلمية والدينية في المشرق الإسلامي.

إن الرحلات الحجازية إلى الأماكن المقدسة والمراكز العلمية الأخرى في المشرق هدف يسعى إليه كل شخص، لأن الرحلة إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة[1] أو إلى المسجد النبوي في المدينة وكذلك المراكز العلمية في مصر والشام والعراق وغيرها جعلها تستأثر باهتمام شريحة كبيرة جدا من الرحالة المغاربة الذين يتطلعون إلى زيارة هذه المراكز العلمية.

المطلب الأول: مكة المكرمة

تعد مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية وقبلة المسلمين وهوى أفئدتهم ومحط أنظارهم، ومجرد ذكرها يشد أنظارهم ويأسر تطلعاتهم وشغفهم[2]، كما نجد الرحلات المغربية إلى مكة المكرمة تكتسب خصوصية متميزة لكونها العاصمة المقدسة التي لها منزلة خاصة عند جميع المسلمين سواء في المغرب أو المشرق، فيتشوق كل مسلم إلى شد الرحال إليها[3].

وفي مكة المسجد الحرام وهو دون شك في جميع العصور الإسلامية جامعة فريدة ومحل جلب علماء المسلمين وطلبة العلم وفيه تدرس العلوم المختلفة دون أي قيود وعوائق أو حتى تكاليف على المتعلمين، وفيه تزدهر الحياة العلمية، ووصل المسجد الحرام بأهميته إلى مركز للفتيا المصدرة للعالم الإسلامي، كما أجمع في وقت من الأوقات على مكانة كبيرة نتيجة شهرته وفضل علمائه، كما انتشرت كتب علماء الحرم ودروسهم في أصقاع المعمورة عن طريق طلبة العلم، إضافة إلى ذلك تنوع الكتب المتداولة في مكة

---

(1) مكة المكرمة من المدن المقدسة عند المسلمين، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في العديد من السور، أطلق عليها اسم بكة واسم أم القرى، وهي عاصمة الحجاز وإحدى أهم المدن في المملكة الشريفة التي تتوسط المسجد الحرام ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام.... وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة وقيل بكة اسم لبطن مكة لأنهم كانوا يتركون فيها أي يرحموا... ينظر: عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خير الأقطار، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ – 1977م، ص 150، ابن جبير: المصدر السابق، ص ص 87، 90.

(2) عمر بن يحي محمد: مكة المكرمة أهمية الدور والمكان، المجلة العربية، ع 10، 2006م، الرياض، ص11.

(3) إبراهيم بن عبد الله السماوي: ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات الحجازية، بحث مقدم في ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص 153.

المكرمة، وذلك لما ورد في كتب الرحلات مما يزيد من تأكيد أهمية هذا المكان ومركزه العلمي[1].

ونظرا لتلك الأهمية فقد زارها وكتب عنها الكثير من الجغرافيين والرحالة المغاربة والمؤرخين المسلمين الذين دونوا مشاهداتهم ومن هؤلاء نجد ابن الفقيه في كتابه: "مختصر كتاب البلدان" والأزرقي في كتابه "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وابن جبير وابن بطوطة وابن حوقل وغيرهم من الرحالة[2].

ومنه فهي تعد مركزاً علمياً هاماً لما تحتويه من آثار حضارية ومعارف ثقافية ودينية تشهد لها البشرية، ومن العلماء الذين تتلمذ على يدهم المغاربة في مكة المكرمة نذكر: أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب الدمشقي ونجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري (730هـ)[3]، وجمال الدين محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ الأقشهري (ت 739هـ)[4].

المطلب الثاني: المدينة المنورة:

تعد المدينة المنورة ثاني أهم مركز علمي بالنسبة للرحالة عامة والمغاربة خاصة، وذلك لكونها حاضرة ثقافية تزخر بمراكز علمية هامة ونذكر هنا على سبيل المثال المسجد النبوي الشريف[5] والذي يحتل المرتبة الثانية بعد المسجد الحرام ذلك لكونه مركزا علميا هاما يستقطب الحجاج والرحالة والعلماء بالإضافة إلى طلبة العلم[6].

كما كانت المدينة المنورة منتهى أمال القاصدين من الرحالة المغاربة لما تحتويه على عدد كبير من العلماء والفقهاء ما لا يحصيه العد وكان هؤلاء يعقدون مجالس للخاصة والعامة ويوجد من بينهم نساء عالمات أيضا([7]) ومن بين الذين تتلمذ على يدهم الرحالة

---

(1) إبراهيم بن عبد الله السماوي المرجع السابق، ص 150.

(2) حسان حلاق: مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م، ص7.

(3) مفتي مكة المكرمة وقاضيها، تفقه وأفتى وتولى القضاء بعد أبيه فترة تزيد عن 35 سنة، كان شيخا فاضلا مشهورا بعلم الفقه مقصود الفتوى، كان إماما للشافعية تتلمذ على يده ابن بطوطة. نفسه ص 710.

(4) يكنى أبي الفضل ويلقب بالعالم، يعد من فضلاء مكة وفقهائها الثقات، لقب ابن رشيد وأبي عليه مادحًا، مرجع نفسه،ص709.

(5) كان دارًا لعبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم وهو شرقي الكعبة متصل بصفح الجبل ويشرف عليه بمقربة منه جبل أبي قبيش وعلى مقربة منه أيضا.

(6) عواطف نواب: المرجع السابق، ص 258. وابن جبير: المصدر السابق، ص 175.

(7) أحمد حدادي: رحلة ابن رشيد السبتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 2003م، ص ص 37، 38.

المغاربة في المدينة المنورة تذكر أبو محمد عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ت 768هـ) وأيضا أم الخير فاطمة بنت إبراهيم بن محمود البعلبكي المعروف بالبطائحي[1].

لقد حظيت المدينة المنورة بأهمية علمية كبيرة وذلك يعود إلى تعدد المراكز العلمية الموجودة فيها سواء كانت دينية وحضارية (المسجد النبوي) أو عدد العلماء والمؤلفات وهذا ما جعلها مقصدًا لطلبة العلم خاصة العلماء والفقهاء وهناك من استوطن هذه المدينة أمثال أبي إسحاق الفاسي[2]، وهناك من بقى فيها سنوات عديدة ثم عاد أمثال الرحالة ابن بطوطة الذي مكث في المدينة المنورة ثلاث سنوات.

المطلب الثالث: بيت المقدس:

يعد بيت المقدس منارة من منارات التاريخ الإيماني للبشرية جمعاء، شهدت مولد عديد الأنبياء لتفيض على الأرض سلامًا ورحمة، منذ بعث رسل الله ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، فبيت المقدس[3] يحتضن المسجد الأقصى الذي يعتبر من أهم المراكز العلمية، كما يعد أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. ارتبط تاريخ المغاربة ببيت المقدس منذ الأيام الأولى التي اعتنقوا فيها الإسلام، لهذا فقد شدهم اليه نفس الهدف الذي شدته مكة والمدينة المنورة، لذا كان جل الحجاج يمرون بفلسطين عند رجوعهم من الحج لينعموا برؤية مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وينتفعوا الأجر في الرحلة إلى ثالث الحرمين.

ولقد زار هذا المسجد من علماء بلاد المغرب الرحالة الشهير البلوي الذي تكلم عن المكانة العلمية والثقافية لهذا المسجد حيث بقي طيلة شهر رمضان المبارك في القدس

---

(1) أم الخير وصفها ابن رشيد بالشيخة الصالحة الكاتبة وكانت دينية متجندة مسندة ولدت سنة 625هـ لقيها ابن رشيد في المسجد النبوي الشريف، وكتب خطها بالإجازة وكانت تسدل جلبا بها على وجهها حياء وصوتا... للمزيد ينظر: أحمد حدادي: المرجع السابق، ص ص408، 409.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحي الفاسي المنسوب إلى مدينة فاس والمقيم بالمدينة المنورة كان شيخا صالحا فقيها مالكيا معروف بالدين والفضل التقى به ابن رشيد السبتي بالمدينة المنورة، والذي قرأ عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري.. للمزيد ينظر: ابن رشيد القهري السيتي أبي عبد الله محمد بن عمر: ملء العيبة فيبما جمع بطول الغبية في الوجهةين الكريمتين إلى مكة وطيبة، تح محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج 5، ص 37.

(3) بيت المقدس: يسمى بإيليا وكوره إيليا من فلسطين، والتقديس التطهير، وأول من بنى بيت المقدس وأوى موضعه يعقوب وقيل داود عليه السلام... للمزيد ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص 851.

الشريف، وقد ظل في المسجد الأقصى معتكفا ملتزما بالذكر والتسبيح والاستغفار وكانت عادته حضور مجالس التدريس من بعض الأئمة الأعلام ليأخذ منهم مختلف العلوم الدينية إما بإسماع منهم أو نقل الخطة وقراءة اللفظ وإثبات السند في برامج روايته[1]، وأيضا ابن العمري أكد ذلك في كتابه مسالك الإبصار في ممالك الأمصار[2]، حيث يقول: "وبالقدس مدارس وخنادق، وربط وزوايا، وترب وللمسجد الأقصى بها وقوف كبيرة جارية على مصالحه والمؤذنين به وجماعة من العلماء والقراء....[3] ونذكر أشهر العلماء الذين تتلمذ على أيديهم المغاربة في بيت المقدس أبو الفرج قدامة المقدسي(ت 732هـ)[4] وأبو الذكاء القرشي (ت 687هـ)[5].

المطلب الرابع: مصر

كانت لمصر مكانة علمية في ذهن المغاربة عامة والعلماء والفقهاء خاصة من الرحالة، ومما يؤكد ذلك حديث الرحالة ابن خلدون" فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بأفقه وتضيء البدور والكواكب من عليائه"[6].

هذا الذي يفسر مكانة ووزن الحواضر العلمية في مصر وما تحتويه من معالم دينية حضارية أثرية ساهمت في تطور الذهنية المغاربية، ومن المعالم الأثرية الدينية العلمية في مصر نجد القرافة التي لها مكانة دينية وروحية ليس في نفوس المصريين فحسب، بل

---

(1) نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 664.

(2) ابن العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ص 210.

(3) هو عز الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الله بن قداسة المقدسي الحنبلي، التقى به وتعلم على يده كان فقيها زاهدا قدوة وعالما متواضعا انظر احمد حدادي: المرجع السابق ص 400.

(4) هو عبد المنعم بن يحي بن إبراهيم القرشي الزهري المعوفي النيلسي الشافعي، كان مفتيا ومفسرا وفقيها فاضلا وخطيبا بالمسجد الأقصى، نفسه، ص 400.

(5) ابن العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ص 210.

(6) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ج 7، ص 649.

في نفوس المسلمين عامة[1]، لما تتضمنه من قبور لآل البيت الكرام والصالحين وغيرهم ولذلك كان يقصدها العامة للزيارة والتبرك، لكن الذي يهمنا ما قاله الرحالة المغاربة والأندلسيين عند زيارتهم لها وتسجيل كل ما يشهدونه فيها من مشاهد روحية وأضرحة[2]، حيث يقول عنها الرحالة ابن جبير"هي إحدى عجائب الدنيا لما تحتويه عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليه وبها آل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين العلماء"[3].

كما أن بها مسجد الإمام الشافعي رضي الله عنه والذي بجانبه مدرسة لا يوجد مثلها في البلاد عامة وذلك في مساحتها وطريقة بنيانها، حتى أنه من يطوف بها يخيل له أنه في بلد مستقل بذاته لما لها من بهارة ومكانة، كما وإن لمصر علماء نذكر منهم الذين حدثنا عنهم ابن فرحون في كتابه "**الديباج المذهب**" نجد أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المنفلوطي ابن دقيق العبد (ت 702هـ)[4] الذي وصفه ابن رشيد بالإمام الأوحد العالم العلامة المجتهد مفتي الإسلام والذي التقى به بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، صدفة، كما تكرر لقاؤه به في المدرسة الفاضلية والمدرسة الكاملة، وكذلك التقى به الرحالة العبدري والذي وصفه على أنه التقى به ووجد فيه علم يحق له اللقاء وله بحر من العلم لا تكدره الدلاء[5] وكذلك أبو الحسن بن أبي الكرم (ت 710هـ)[6]، وأيضا قطب

---

(1) القرافة أصل تسميتها من قبيلة المغافر، يقال لهم بنو قرافة الثاني، وذكر جامع الغرافة الذي عرفه فما بعد بجامع الأولياء، وكان الناس يحبون هذا الموضع لما يحتويه من مرافق اجتماعية... للمزيد أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 634.

(2) ابن خلدون: المرجع نفسه، ص635.

(3) ابن جبير، المصدر السابق، ص 22.

(4) هو محمد أبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن علي بن أبي عطاه وهب ابن أبي السمع مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي المنعوت بالتقي المعروف بابن دقيق العيد المالكي الشافعي، ولد في شعبان سنة 625هـ وتوفي سنة 702هـ.

(5) تفرد في معرفة العلوم بزمانه والرسوخ فيه كان معظم في النفوس، اشتغل بمذهب مالك وعلم الأصول والعربية وسائر الفنون رحل إلى الحجاز والشام ومصر... من تألفيه كتاب الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث الصحاح وليه ديوان خطب وله أربعون حديثا... توفي سنة 702هـ بمصر ودفن بالقرافة. انظر ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الاحمدي ابو انور، دار التراث، القاهرة، د. ت، ص 318.

(6) محمد العبدري: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ج2، ص139.

الدين القسطلاني[1] من العلماء الذين التقى بهم ابن رشيد في الديار المصرية وسمع عليه بعض الأحاديث والإجازة[2].

كما وكان في مصر عدة جوامع لها دور ثقافي مهم في تاريخ الرحالة المغاربة والتي تعد مرجعاً ثقافياً وعلمياً نذكر منها جامع عمر بن العاص[3] بالفسطاط وصفه ابن بطوطة بأنه الجامع الذي زاره سنة 725هـ، ويذكر أنه مسجد شريف كبير القدر تقام فيه الجمعة وأن مشرقه الزاوية حيث كان يدرس الإمام أبو عبد الله الشافعي[4] وكذلك الرحالة البلوي فقد أفرط في وصفه لجامع عمر على الجانب الفني العمراني الذي أنبهر به[5].

ونجد الجامع الأزهر الذي كانت حلقات التدريس فيه كثيرة فنجد ابن بطوطة الذي سجل لقاءه بالشيخ الصوفي قوام الدين الكرماني وكذلك ابن خلدون جلس للتدريس بالجامع الأزهر، حيث إنهال عليه طلبة العلم للأخذ عنه[6].

وكذلك جامع أحمد بن طولون بالقطائع[7] الذي ظل مستمرا في تقديم أنشطته التعليمية للغرباء المغاربة وطلبة العلم والذي تدرس به المذاهب الفقهية الأربعة وكذلك الحديث والطب إلى جانب تعليم الأيتام.

بالإضافة إلى هذه المراكز يوجد مراكز أخرى في المشرق كانت لها مكانة علمية كبيرة جذبت الرحالة إليها وكانت محل استقطاب كالعراق والشام ودمشق... وغيرها فإن

---

(1) هو قطب الدين أبو بكر محمد بن أبي العباس أحمد القسطلاني ولد سنة 614هـ، هو الشيخ المحدث الصوفي والأديب المصنف المفتي المشهور، درس في المدرسة الكاملية ومن مؤلفاته ارتقاء الرئية باللباس والصحية، له رحلة إلى مكة المكرمة وسمع على عديد الشيوخ وهناك ليس خرقة الصوفية... أنظر: ابن رشيد السبتي المصدر السابق، ج5، ص305.

(2) الإجازة: هي صورة لشهادة علمية، كما تمنح اليوم والفرق بينهما أن الإجازة تمنح بصورة فردية عند سماع كتاب أو رواية حديث ولم تظهر الإجازة إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري... للمزيد أنظر: بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص250.

(3) مسجد أنشأه عمر بن العاص مسجده في الفسطاط بعد فتح مصر سنة 642كم وأعيد بناؤه عدة مرات ففي سنة 564هـ لحق ضررا بالمسجد بعد اندلاع حريق هائل في الفسطاط، ثم أعيد ترميمه سنة 666هـ.... أنظر: محمود أحمد: جامع عمر بن العاص، المطبعة الأميرية بولاية القاهرة، (د، ط)، 1938م، ص4.

(4) ابن بطوطة، المرجع السابق، ج1، ص203.

(5) البلوي: التاج المفرق، ج 1، ص 215.

(6) ابن خلدون: العبر، ج7، ص 266.

(7) يقع هذا المسجد الكبير في حي السيدة زينب في القسم الجنوبي من القاهرة، وكان أحمد بن طولون قد اختار هذا المكان ليجعله مقرا له ومعسكرا لجنده وشرع في بناء المسجد سنة 265هـ وانتهى تشديده بعد عامين، وكان تخطيطه شبيها بطراز العمارة والزخرفة... أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 667.

ابن جبير مثلا كان يواظب على حضور المجالس العلمية والوعظية ببغداد[1] وابن بطوطة انشغل هو كذلك في دمشق بمجالس العلم والخطب الدينية وحرص على تتبع ما بها من مدارس علمية[2] لكل من الشافعية[3] والحنفية[4] والمالكية[5].

وأيضا ابن رشيد السبتي فعل الأمر نفسه في دمشق وحرص على تلقي العلم من كبار العلماء والفقهاء ومن هنا ونلاحظ على العموم أن المراكز العلمية في المشرق كانت مقصد الرحالة المغاربة ويعود ذلك لما تتضمنه من مجالس علمية ومؤسسات ثقافية وكبار العلماء والفقهاء في شتى العلوم، التي كانت وراء الدافع ورغبة الكثير من الرحالة المغاربة أمثال ابن بطوطة وابن جبير والعبدري وابن رشيد السبتي والبلوي وغيرهم.

([1]) ابن جبير: المصدر السابق، ص 195.

([2]) حسن مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص51.

([3]) الشافعية نسبة للإمام الشافعي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، ولد في غزة، وتوفي في مصر عام 204هـ.. أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، من 666.

([4]) مؤسسها أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وهو فقيه أهل العراق العابد الروع السخي، ولد سنة 80هـ، حيث كان من المتفوقين، وهذا المذهب كان أسبق المذاهب انتشارا في بلاد المغرب، يعتبر المذهب الرسمي للدولة العباسية. ينظر: أبو الحافظ أبي عبد الله محمد عثمان، مناقب الإمام أبو حنيفة، تح محمد زاهد الكوثري وآخرون، تحية المعارف النعمانية، بيروت، لبنان، ط1، ص 13.

([5]) نسبة لمؤسسها الإمام مالك وهو مذهب أهل المدينة، بعد الإمام مالك جهابذة الأعلام الذين أعنى العلماء قديما وحديثا بحياته. للمزيد ينظر: محمد مختار الماسي المذهب المالكي مركز زايد، 2002م، ص27

المبحث الثاني: التواصل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب الاسلامي

المطلب الأول: التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب

لما فتحت بلاد المغرب وبنيت مدينة القيروان سنة 50هـ / 670م، أُقيم جامعها، ووفق التقاليد الإسلامية عدت بلاد المغرب حاضنة للثقافة الإسلامية والسياسية وبيت شورى المسلمين وعلى أثر ذلك وفد التابعون والفقهاء والعلماء وتتلمذ على أيديهم كثيرون من المغاربة وازدهرت القيروان في سماء الثقافة الإسلامية، وعُدّت قبلة لطلاب المعرفة من كل فجّ من بلاد المغرب، وبفضل القيروان ونشاطها الثقافي الإسلامي قامت حركة إسلامية مغربية ساهمت بنشر الإسلام بين قبائل المغرب[1].

كان من المفترض أن تكون أفريقية المحطة الأولى للأندلسيين لأنها الأقرب إلى الأندلس، وجذور سكان الأندلس موصولة بها بعد أن استقرّ جزء من الجيش بإفريقية وتابع آخرون باتجاه الأندلس، ولكن الأمر اختلف، فعلى الرغم من سبق إفريقية الأندلس بالفتح فإنها لم تحظ بالاستقرار السياسي الحقيقي إلا في فترة متأخرة، إذ نخرتها ثورات البربر التي قامت في وجه العرب، مما حرمها من الاستقرار الذي يُعدّ من أهم أسباب الإبداع الثقافي[2].

ومن ناحية أخرى أدت طبيعة بلاد المغرب الخاصة من حيث بعدها عن حاضرة الخلافة الإسلامية في المشرق، ومن حيث طبيعتها القبلية ولسانها البربري، إلى أن تصبح ملاذاً أو مهرباً لبعض الفرق الإسلامية الخارجة على نظام الخلافة الأموية كالخوارج والصفرية والإباضية، وبعض الشيعة[3].

علاوة على هذا لم يكن لإفريقية وعلمائها الأوائل شهرة ثقافية بحيث تجذب طلاب الأندلس إليها، حتى ظهر سحنون بن سعيد التنوخي، الذي انجذب إليه طلاب الأندلس، ولم يأخذ سحنون الفقه عن مالك بن أنس بل أخذه عن عبد الرحمن بن القاسم أشهر تلاميذ مالك بمصر، وانتشرت إمامة سحنون في المشرق وفي المغرب، وقد اعتبر إمام أهل عصره، وكان قد دون سحنون ما أفتى به الإمام مالك، وما أجاب عنه في كتاب

---

(1) حسين حمدي عبد المنعم: تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، 2005 م، ص369.

(2) الفيومي محمد، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص83.

(3) المرجع نفسه، ص84.

عرف بالمدونة، وقد تتلمذ على يد سحنون عدد كبير من الطلاب لم يحظ به احد ممن درس مذهب الإمام مالك غيره[1].

وأخذ الأندلسيون يقصدون سحنون للسماع عليه، وأدخلوا مدونته لبلادهم على يد عثمان بن أيوب الذي رحل إلى القيروان وسمع منه وهو أول من أدخل المدونة إلى الأندلس[2] وأظهر سحنون إعجابه بتمسك الأندلسيين بالسنة فخاطب الأندلسيين بقوله يا أهل الأندلس، أنا أحبكم لأنكم قوم سنة وخير[3]، وأقبلوا على مدونته بشغف كبير حتى أن مدينة البيرة كان بها سبعة من العلماء في وقت واحد ممن سمع على سحنون، وكان إبراهيم بن عجنس الزيادي (ت. 275هـ/888م) قد اختصر المدونة بعد أن سمعها من مؤلفها[4]، كما سمع إبراهيم بن النعمان (ت. 283هـ/896م) من سحنون بن سعيد، وسكن القيروان وبقي هناك حتى توفي بمدينة سوسة[5].

بالتزامن مع الدور الذي لعبته القيروان، فقد لعبت مدينة فاس عاصمة الادارسة دوراً كبيراً من الناحية العلمية والثقافية بعد أن أستطاع الأدارسة توحيد بلاد المغرب الأقصى تحت لوائهم[6] ومما ساعد في نجاح وديمومة الأدارسة في إقامة كيانهم؛ اشتراك العرب والبربر جنباً إلى جنب، فاستطاعوا بفضل هذه الوحدة أن يحاربوا العقائد الشاذة المنتشرة بين قبائل المغرب الأقصى، حيث يعتبر تأسيس مدينة فاس فاتحة عهد جديد في تاريخ البلاد، فأصبحت بعد جامعة القيروان منارة ثانية، وبالتالي كونت شخصيتها المستقلة، وأخذت تبث العلم في ربوع ذلك القطر النائي، مما مكنهم من احلال اللغة العربية محل البربرية.

وقد اعتبرت مدرسة فاس أكثر مدارس المغرب الأقصى تفوقاً، فقصدها الناس من كل حدب وصوب، فأصبحت دار فقه وعلم وحديث، وأصبح فقهاءها يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، وتم تشبيهها من قبل بعض المؤرخين بالإسكندرية في المحافظة على علوم

---

(1) القاضي عياض، ترتيب، ج4، ص7.

(2) ابن الفرضي، ج1، ص ص 40، 41.

(3) ابن الفرضي، المرجع السابق، ص42.

(4) المرجع نفسه، ص43.

(5) الفيومي محمد، المرجع السابق، ص ص 84، 85.

(6) المرجع نفسه، ص85.

الشريعة[1]، وقد أسهم الأندلسيون بالازدهار الفكري في فاس، وذلك بعد فرارهم من الأمير الحكم بن هشام بعد ثورة الربضيين[2].

ومن أهم المراكز العلمية في فاس؛ جامع القرويين الذي أصبح فيما بعد جامعة علمية تستقطب جميع علماء المسلمين، ولم تقتصر على علماء الأندلس فقط، بل قصده جميع العلماء من كل البلاد الإسلامية، كما كان لجامع القرويين أهمية علمية في بلاد المغرب طوال العصور الإسلامية، وما زال يحتفظ حتى يومنا هذا، حيث اعتبر المسجد الوحيد الذي أطلق عليه اسم جامعة فعرف بجامعة القرويين دون جامع الأزهر وجامع بغداد، إضافة إلى بعض المدارس التي أسسها الأندلسيون في مدينة فاس وأصبحت معلماً من معالم النهضة العلمية إلى الآن[3].

وقد بلغت مدينة فاس مكانة سامية مكنتها من نشر الثقافة العلمية، وقد وصفها بعض المؤرخين بأنه اجتمع في المدينة علم القيروان وعلم قرطبة، واحتضنت العديد من العلماء، وكان شيوخ العرب يدعونها بغداد الغرب[4]، كما تأثرت الحياة العلمية في مدينة فاس بأعلام الأندلس الذين استقروا فيها، وساعدوا على رفع وتقدم الحركة العلمية فيها، وذلك بتوليهم التدريس أو القضاء أو الإمامة والخطابة في جامع القرويين والجوامع الأخرى الموجودة في فاس، مما أدى إلى استفادة أبنائها من المدرسين الأندلسيين الذين أخذوا ينهلون من علومهم وثقافتهم وآدابهم، حتى إن بعضهم اقتصر على الرحلة في طلب العلم إلى بلاد الأندلس وأخذوا عن علماء الأندلس الموجودين بالمدينة[5].

كما اشتهرت الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط بكونها الجسر الذي ضمن استمرار التدفق الحضاري بين المشرق والأندلس، وعن طريق الرستميين نجح أمراء بني

---

(1) الفيومي محمد: المرجع السابق، ص86.

(2) فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م، ص92.

(3) الحميدي ايمان: العلاقات العلمية بين الاندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستر، جامعة ام القرى، مكة مكرمة، 2009م، ص275.

(4) العصيمي ايمان المرجع السابق، ص199.

(5) المرجع نفسه، ص200.

أمية في الأندلس من الحصول على ما يحتاجون إليه من كنوز المشرق ومؤلفاته، وبذلك فإن حكام تيهرت[1] قد قاموا بدور الوسيط الثقافي بين بلاد المشرق والأندلس[2].

ونتيجة لهذا الدور الثقافي الذي اضطلع به الرستميون ظهرت مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس، إذ إنه من الطبيعي أن تترك هذه العلاقات القوية آثارها في الشعب الأندلسي، إلا أنها لم تكن بالقوة ما يظهرها بشكل واضح نتيجة لسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين، وقد ظهرت هذه التأثيرات في مناطق الاحتكاك التجاري بين الرستميين والأمويين بمدينة المريَّة[3].

التي كان أهلها على مذهب الخوارج وكان أحد المعلمين في قرطبة واسمه جابر بن. الليلي كثير التشدد في مذهب الخوارج الإباضية وقد رحل إلى الأندلس العديد من علماء الدولة الرستمية يأخذون العلم من علمائها ويروون عنهم، ومن هؤلاء قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي (ت 322هـ/933م) الذي يقول عنه الحميدي: إنه دخل الأندلس وكان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي (ت 296هـ / 908م)(4) أخذ عنه أيضاً أبو الفضل أحمد بن قاسم الذي روى عنه أبو عمر بن عبد البر (ت 463هـ/1070م)،كما رحل الكثير من علماء الأندلس إلى الدولة الرستمية وتتلمذوا على يد علمائها، ومن هؤلاء قاسم بن أصبغ الذي تتلمذ على بكر بن حماد بن إسماعيل الزناتي، الذي نشأ بتيهرت[4] وأخذ عن علمائها، والتحق بالقيروان سنة 217هـ / 832م فأخذ بها عن الامام سحنون وعون بن يوسف(239هـ/853م)[5].

---

[1] تيهرت مدينة من مدن المغرب الأوسط على الطريق من تلمسان وعاصمة الرستميين، وكانت بالأصل مدينتين إحداهن قديمة والأخرى حديثة، وتقع على سفح جبل يسمى قزول، انظر: الحميري، ص126.

[2] سالم السيد تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص483 وبوباية عبد القادر، علاقة الرسلميين بالإمارة الأموية في الأندلس، مجلة التراث العربي قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2005م، العدد 99-100، ص 389.

[3] المرية: مدينة تقع جنوب شرق الأندلس على البحر المتوسط، أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ/ 955م، وكانت تشتهر بمينائها البحري الهام وبصناعتها الوفيرة، انظر: الحميري، ص537، 538.

[4] بكر بن حماد التاهرتي: ولد بمدينة تاهرت حوالي سنة 200هـ / 815م، تلقى دروسه على مشاهير علمائها وجلة فقهائها، إلى أن بلغ السابعة عشرة من عمره حتى غادر تاهرت متجها نحو إفريقية والمشرق، وسافر إلى القيروان وبغداد، وتلقى العلم على يد عدد من العلماء والشيوخ، ثم عاد إلى تاهرت وتوفي بها، انظر شاوش محمد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التيهرتي، ص (43-50).

[5] الحميري: المصدر السابق ص ص 201، 202.

ثم انتقل إلى المشرق وطاف بحواضره العلمية، وتزود منها بعلوم الدين والأدب، ثم عاد إلى القيروان ودرس الأدب والحديث، ومنذ سنة 274هـ/887م ارتحل إليه الكثير من أهل الأندلس للأخذ عنه والتخرج على يديه[1].

يتجلى مما سبق بوضوح مدى الارتباط الوثيق الذي كان بين الدولة الرستمية في تاهرت والإمارة الأموية في قرطبة، على الرغم من الاختلاف المذهبي، فإن ذلك لم يقف حائلاً دون تشابك العلاقات الثقافية بين الدولتين.

المطلب الثاني: التبادل العلمي بين الأندلس والشام والحجاز

ومن المعروف أن الأندلس كانت قد فتحت على أيدي المسلمين في خلافة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ / 705-715م)، وظلت ولاية تابعة لدمشق إلى أن استقل بها الأمير عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ / 755م، وهو أول من أسس ووضع جذور الحضارة الإسلامية الشامية في الأندلس، وقد حرص منذ قيام دولته على تجديد حضارة بني امية في المشرق، وعلى نقل النظم الإدارية المعروفة في المشرق الإسلامي في العهد الأموي، وطبقها في الأندلس تطبيقاً مشابهاً، وقد تم له ذلك على نحو يثير الأعجاب [2].

وعلى صعيد المؤثرات الشامية والتشابه بين الشام والأندلس، فقد تبين أن موقع مدينتي غرناطة وقرطبة يشبه إلى حد كبير موقع مدينتي دمشق وبغداد، فدمشق تقع على الضفة اليسرى لنهر بردى، وقرطبة تقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير، ويطل على دمشق جبل قاسيون، بينما يطل على قرطبة جبل الشارات زد على هذا التشابه بين البلدين في بيوتهما وأسلوب الحياة فيهما، ومن هنا قال في حقها الجغرافيون العرب: "الأندلس شامية في هوائها وشامية في حياتها"[3].

أما فيما يتعلق بالحياة الدينية في الأندلس فكانت متأثرة بالحياة الدينية السائدة في الشام، وذلك بسبب رحيل الكثير من الفقهاء الأندلسيين إلى الشام، ومنهم ؛ صعصعة بن سلام الشامي الذي نقل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس، ومحمد بن وضاح الذي رحل إلى المشرق وطـاف الكثير من أقطاره في طلب العلم، ومن الذين قصدهم عبد الرحمن بن

---

[1] الحميدي ايمان، المرجع السابق، ص487.

[2] حلاق حسان: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،ط1، الدار الجامعية، بيروت، 1986م، ص29.

[3] حلاق حسان: المرجع السابق، ص ص 33، 34.

إبراهيم (ت. 245هـ / 859م) قاضي دمشق المعروف بدحيم، كما رحل إلى المغرب والمدينة المنورة وقصد الكثير من العلماء، ولما عاد إلى الأندلس حدث فيها وأصبح له تلاميذ كثر[1].

وكان من الطبيعي أن تتأثر الدولة الناشئة بالحضارة الشامية ونظمها، فالحياة الأدبية في الأندلس كانت صدى لحياة الشام الأدبية، فالشعر الأندلسي مثلاً كان شعراً كلاسيكياً يحاكي شعر الفرزدق وجرير، وكانت نصوص الشعر في الأندلس كالشعر في الشام، في معظمه مدح وهجاء، وكان المديح لدى الأمويين في الأندلس قريباً من الطابع البدوي[2].

وفي الوقت الذي بدأ الشعر العربي يؤثر في البيئة الاسبانية المسيحية كانت اللغة العربية ومصطلحاتها قد سادت الأندلس، وقد اندفع الإسبان وأساقفتهم لدراسة العربية، وكانت كلما مرت السنون ضاعت اللغة الاسبانية بشكل أكثر، بحيث ترجمت فيما بعد بيانات البابا وقرارات المؤتمرات والمجامع المسيحية في القرن التاسع الميلادي إلى اللغة العربية، حتى يتمكن المسيحيون الاسبان في الأندلس من فهمها، لأن كثيراً منهم لم يعودوا يفهمون اللاتينية[3].

المطلب الثالث: التبادل العلمي بين الأندلس ومصر والعراق

انتقلت المؤثرات العربية المصرية إلى الأندلس بوساطة الجنود والرحالة والفقهاء والمغنين والمهنيين، ومن المعروف أن القائد كلثوم بن عياض القشيري (ت. 123هـ /740م)[4] أرسل من مصر في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) إلى الأندلس وأفريقية ثلاثة آلاف مقاتل مصري لمقاتلة البربر، ثم اتبعهم بثلاثين

---

(1) عبد الرحمن بن إبراهيم يكنى أبا سعيد تولى منصب قضاء مدينة طبرية بفلسطين، وحدث عن عدد من شيوخ عصره منهم سفيان بن عيينة (ت 198هـ /814م)، كان يعرف بدحيم اليتيم، وقدم إلى بغداد وحدث فيها وروى عنه الكثيرون من أهلها، وكان من أهل الثقة في الحديث انظر الذهبي سير، ج 11، ص (515-516).

(2) الحميدي ايمان، المرجع السابق، ص 140.

(3) حلاق حسان، المرجع السابق، ص ص29-30.

(4) كلثوم بن عياض القشيري: ولاه إفريقية وندبه هشام بن عبد الملك سنة 122هـ / 740م لقتال البربر، وسير معه جيشاً ضخماً في نحو ثلاثين ألف مقاتل، وعهد إلى الجيش بأنه إذا حدث لكلثوم حادث فالأمير بعده ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، فإن أصيب فالأمير بعده ثعلبة بن سلامة الجذامي، ودارت بينه وبين البربر حروب عظيمة، إلا أنه قتل في إحداها، انظر: البلاذري، ص321؛ ابن عذاري، ج2، ص 20، (22-23).

ألفاً من الشاميين وأعـداد أخرى تبعتهم فيما بعد، ولذا فإن المؤثرات الاجتماعية والثقافية والدينية انتقلت من مصر الى الأندلس بصورة أو بأخرى.

وفي مصر ساد المذهب المالكي بعد أن انتقل إليها من المدينة[1]، وعندما رحل الفقهاء الأندلسيون إلى مصر حملوا عند عودتهم إلى الأندلس تعاليم المذهب المالكي وعملوا على نشره.

أما من ناحية العلوم الرياضية، فقد شهدت مرحلة من التقدم في القرن الثالث الهجري، فظهر عدد من العلماء الاندلسيين الذين أخذوا علومهم عن بلاد المشرق وجمعوا بين دراسة علم الحساب والعدد والنجوم، وألفوا فيها العديد من الكتب القيمة التي جاءت بفضل الجهود الكبيرة التي بذلوها في الاطلاع على المصادر الهندية والإغريقية أثناء وجودهم في المشرق، وبالنسبة إلى الهندسة فقد اعتمدوا على كتاب إقليدس في الهندسة الذي يسمى أيضاً بكتاب الأصول أو كتاب الأركان، وقد ترجم هذا الكتاب في المشرق في عهد أبي جعفر المنصور، ثم أسهم الأندلسيون في الدراسات التي اعتمدت عليه[2].

وقد اشتهر من علماء بغداد الذين قصدوا الأندلس في عصر الإمارة أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني الرياضي، وكان أديباً ورياضياً، بغدادي الأصل درس على يد عدد من علماء بغداد المرموقين ومنهم الجاحظ والكثير غيره، وقد قصد الأندلس من أجل العيش والرزق والحصول على الثقافة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي استقبله بترحاب، وأكرمه، ومنحه ألف دينار تقديراً لعلمه وشهرته عند أهل الأندلس[3].

---

[1] حلاق حسان، المرجع السابق،ص59.

[2] الحميدي ايمان، المرجع السابق، ص 100.

[3] حلاق حسان، المرجع السابق، ص ص85.

المبحث الثالث: أثر رحلات الحج على الحياة الدينية في بلاد المغرب

المطلب الاول: دورها في انتشار المساجد والكتاتيب ببلاد المغرب

1- المساجد: يعتبر المسجد من ضروريات الحياة الإسلامية لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّمنعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] وهو من المؤسسات التعليمية الأولى التي اتخذت للتعليم بعد الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب في القرن الأول الهجري.

ارتبط انتشار الإسلام بانتشار المساجد[2] وأول مسجد ببلاد المغرب هو مسجد عقبة بن نافع والمسجد الأعظم بأول حاضرة إسلامية (50-55هـ) بإفريقية، ثم انتشرت بشكل كبير في كل المدن، وأصبحت مركز إشعاع ثقافي وعلمي[3]، وللمساجد دور مهم في خدمة الأهداف الدينية فقد أسهمت إسهاما لا ينكر فضله في بناء صرح الحياة الدينية والتعليمية وتفرعت خدماته وتنوعت وظائفه، ولم يقتصر على كونها منارة تعبد وتهذيب[4].

لم تكن المساجد بيوتا للعبادة فحسب بل إنها كانت معاهد للتعليم فيها يتحلق التلاميذ حول أستاذهم يستمعون إليه ويكتبون ما يقرؤونه، وكان الأستاذ يستند عادة إلى اسطوانة في المسجد، ثم يأخذ في إلقاء مقالة أو إملائها، وفي الحلقات الكبيرة كان يردد بصوت جهوري مستهلا كلامه حتى يسمعه ويكتبه من يتلقاه عنه[5]، وكان لكل فرع من فروع المعرفة حلقة؛ فحلقة خاصة بالفقيه وأخرى بالمحدث وحلقة للمفسر وحلقة للغوي وأخرى للمؤرخ وهكذا، وكانت حلقات الفقهاء أكثر الحلقات ازدحاما يقصدها الطلاب الذين يريدون أن ينالوا مناصب في القضاء، وكان الطلبة يتعلمون فيها أيضا أصول الفقه والعلوم

---

[1] قرأن كريم، سورة البقرة، الآية، 114.

[2] صالح بوعلام الحياة العلمية في إفريقيا في عصر دولة الالغالية أطروحة نيل الدكتوراة جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2002، ص 221.

[3] عبد الله حارث علي، "التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتب الفتاوى -فتاوى ابن الرشيد، الرازي النموذجي-"، مجلة مركز بابل دراسات إنسانية، 2019، المجلد 9، ع4، ص 188.

[4] أحمد ناصر، الحجي، صور من الحضارة العربية في سلطنة المماليكة قار العليم للنشر والتوزيع، كويت، 1995م، ص146.

[5] بشير رمضان التبليسي، وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م، من 256.

العربية، تفسير الاحاديث والأدب والنحو والصرف، وكانت تضمن المساجد إقامة الطلبة الذين يأتون من أماكن بعيدة[1].

2- الكتاتيب: جمع كُتّاب وهو لفظ مشتق من الكتاتيب أي تعليم الكتابة، ويقال أيضا المكتب أو المسيد وهو تحريف لكلمة المسجد الصغير[2]، تعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في التاريخ الإسلامي بحيث دخل هذا النوع من النظام التعليمي في بلاد المغرب مع الفاتحين الأوائل.

لما فتح المسلمون من الصحابة والتابعين إفريقية في أواسط القرن الأول الهجري، وكان كثير منهم في عيالهم ودواوينهم فعندما أناخوا بمعسكراتهم وحطوا قيروانهم، وكان أول ما انتشر دُورُ المساجد فالتفتوا إلى تعليم الصبيان واتخذوا لهم محلا " كُتّاباً " بسيط البناء، اجتمعوا لقراءة كلام الله العزيز وكان الكُتّاب مقتصرا على الصبيان يهدف إلى تنشئتهم تنشئة دينية، وتعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية التي عرفت معنى التعليم.

عرفت الكتاتيب تزايدا مستمرا في المغرب الإسلامي، خاصة وأن سكان المغرب كانوا يتزاحمون لدخول الدين الإسلامي، فأقبلوا على تعلم الدين واللغة والأدب، لذلك كانت الكتاتيب محل عناية من قبل الكبار وأعيان المسلمين فانتشرت في مختلف حواضر المغرب الإسلامي، وتكاثرت في القيروان والمدائن الكبرى كتونس وسوسة وصفاقس[3].

المطلب الثاني: دورها في دخول علوم القرآن والمذاهب الفقهية للبلاد

1- علوم القرآن: يعتبر من أشرف العلوم الدينية والعربية، وذلك لسُمُوّ موضوعه وعظمة فائدته، فهو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، وأسباب نزولها فإن للّفظ

---

[1] الشرع ماجدة مولود رمضان، نمطية الحياة العلمية في حواضر المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث هجري، دورية كان التاريخية، مج 13، ع47، 2020م، ص44.

[2] عبد الرحمان كوريين، المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تجارت، ص 02 الشرع ماجدة مولود رمضان، المرجع السابق، ص 43.

[3] فروان محمود، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي (1600-296م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018م، ص 60.

تفسير ودلالة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [1].

ولقد كان لعلماء المغرب الأوسط والأندلس والحجاز دور كبير في العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتفسيره تدريسا وتأليفا، ولقد كان الولوج لهذا العلم من قبل العالم الضليع في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة واسعة عميقة، وذلك أن القرآن يحتاج مفسره إلى معرفة واسعة، وهذا ما امتاز به علماء المغرب الأوسط حيث كان لهم دور كبير في علم التفسير وفيه ألّفوا كُتُباً عديدة من أمثال الشعري وابن الحجر وغيرهم من علماء المغرب والأندلس[2]، واشتغلوا كذلك بعلم الحديث رواية ودراية، وميزوا صحيح الأحاديث من ضعيفها، ومعرفة الرجال والأسانيد، وألفوا في ذلك مصنفات ورسائل مهمة.

2- علم الفقه: من العلوم الشرعية التي تمكن الفقيه من استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية، وهو من العلوم التي ارتبطت في حياة الناس بالقضاء وتنفيذ الأحكام، ويقوم القضاة العارفين بالفقه والفتوى بذلك تحت إشراف قاضي القضاة وكان يحكم بالشريعة في جميع القضايا التي غلبت عليها الأمور الشخصية، وكان للمغاربة دور مميز في بلاد الشام، وقد ظهر هذا الدور بشكل كبير في دمشق بعدا استحداث منصب قاضي المالكية، وشكل القضاة المغاربة مجموعة هامة حيث شغلوا منصب القضاء المالكي طول مدة فترة حكم المماليك، ويبدوا إن الجالية المغربية، كان لها حضور قوي في بلاد الشام، وهذا بتوليهم مناصب بالقضاء وهذا المنصب الإداري مؤشر واضح يدل على وجود عدد كبير من المغاربة بدمشق أو غيرها من مدن الشام ممن يتبعون المذهب المالكي[3].

---

[1] القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية 33.

[2] حياة رؤوف الزوارية، العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، شهادة دكتوراة الطور الثالث في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة حمه لخضر الوادي 2020-2021 ص 166.

[3] فراس سليم حياوي، جوانب من الحياة الفكرية لأهل المغرب في بلاد الشام الفترة المسندة، كلية التربية الأساسية قسم التاريخ، جامعة بابل، ص35.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الرّحلة إلى الحجّ في المغرب الإسلامي بين القرنين الخامس والعاشر هجريين، يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

أن الرّحلة كانت ولا زالت الوسيلة التي يستطيع بها الإنسان التنقل والحركة في العالم، ونَخُصُّ هُنا الرّحلة إلى الحجّ التي كانت لها أهمية في تاريخ المشرق وعليه يمكن استخلاص ما يلي:

– تُعَدُّ الرّحلة إلى الحجّ بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين من أهم الرحلات التي شهدها المغرب الإسلامي، وذلك لما لها من أهداف علمية وثقافية بعد هدفها الرسمي وهو أداء فريضة الحج.

– تَعدّدَت بواعث الرّحلة إلى الحجّ وتنوّعت فمنها الدافع الديني، من خلال أداء فريضة الحجّ، وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك أخذ العلم من مختلف العلماء والمشايخ والتبرُّك بلقائهم وأيضا مُمارسة التجارة والأغراض السياسية المتنوعة في ربط العلاقات مع الملوك وسلاطين دول المشرق الإسلامي.

– تنوُّع المحطات التي مرَّ بها الرحالة المسلمون من المغاربة والأندلسيون، أهمها مكّة التي تعتبر مركزا علميا هاما لهم لما تكتسبه من مكانة ثقافية وعلمية في نفوس طلبة العلم وهي تعتبر أفضل بقاع الأرض وكذلك المدينة المنورة التي تحوي المسجد النبوي الذي يحتل المركز الثاني بعد المسجد الحرام فهو مركز استقطاب وجلب للمغاربة بمختلف فئاتهم وخاصة الرحّالة منهم، وأيضا مصر والبيت المقدس اللّذان يُعتبران إحدى حواضر المشرق الإسلامي في الفترة الوسيطية.

– صعوبة المسالك والطرق المؤدية للحجاز، وذلك لما تتعرض إليه القوافل المتجهة إلى الحجّ من تعطيلات ومعيقات منها البشرية المتمثلة في اللُّصوص والضّرائب... وغيرها، وأيضا الطبيعية المتمثلة في الرياح التي تعترضهم أثناء مسيرتهم سواء البرّية أو البحرية وغيرها من المعيقات الطبيعية.

ملاحق

الملحق رقم 01: خريطة توضح الأقاليم والدول في المشرق الإسلامي

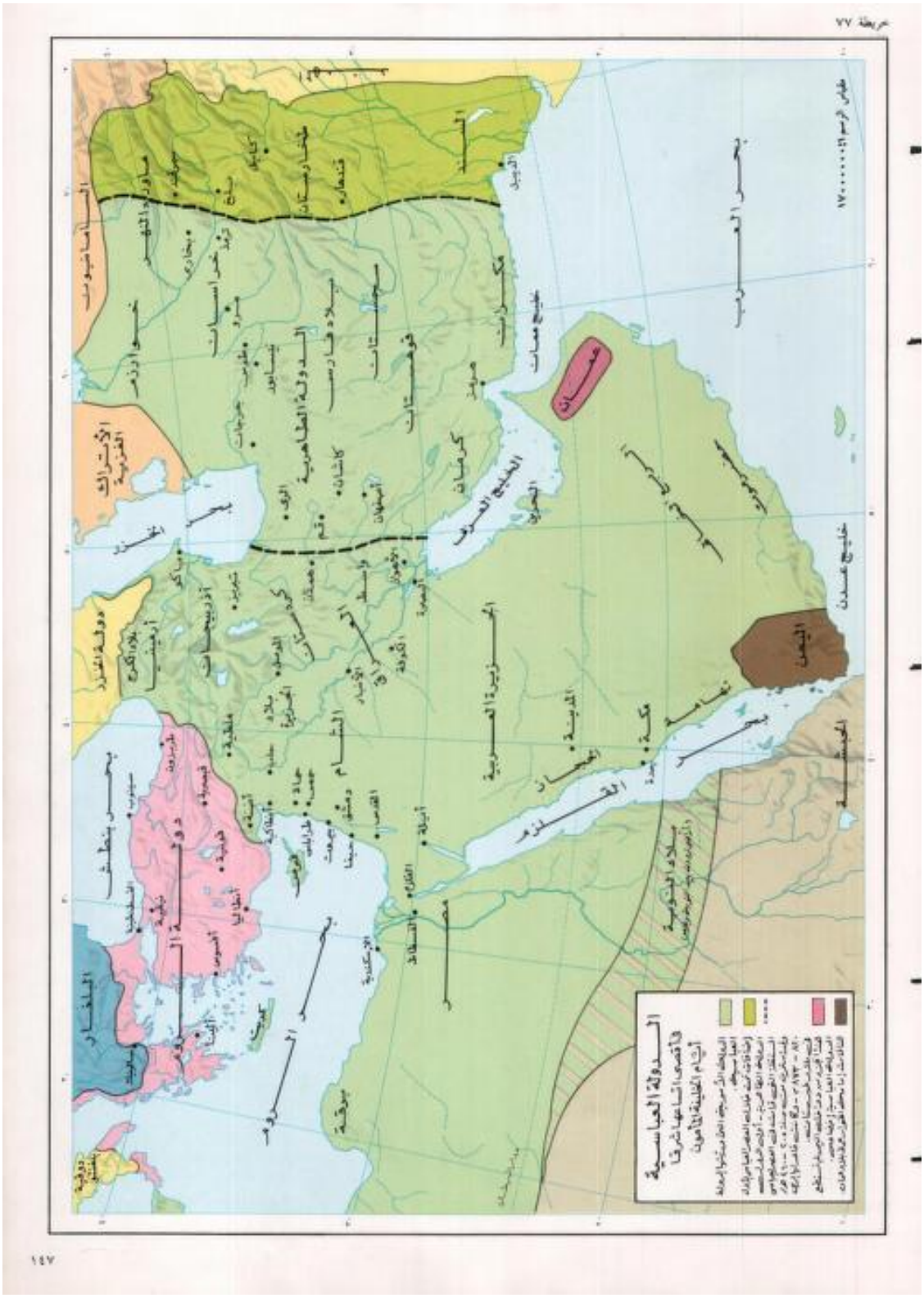

المصدر: حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 147.

الملحق رقم 02: خريطة تبين الحدود السياسية بين دول المغرب الإسلامي

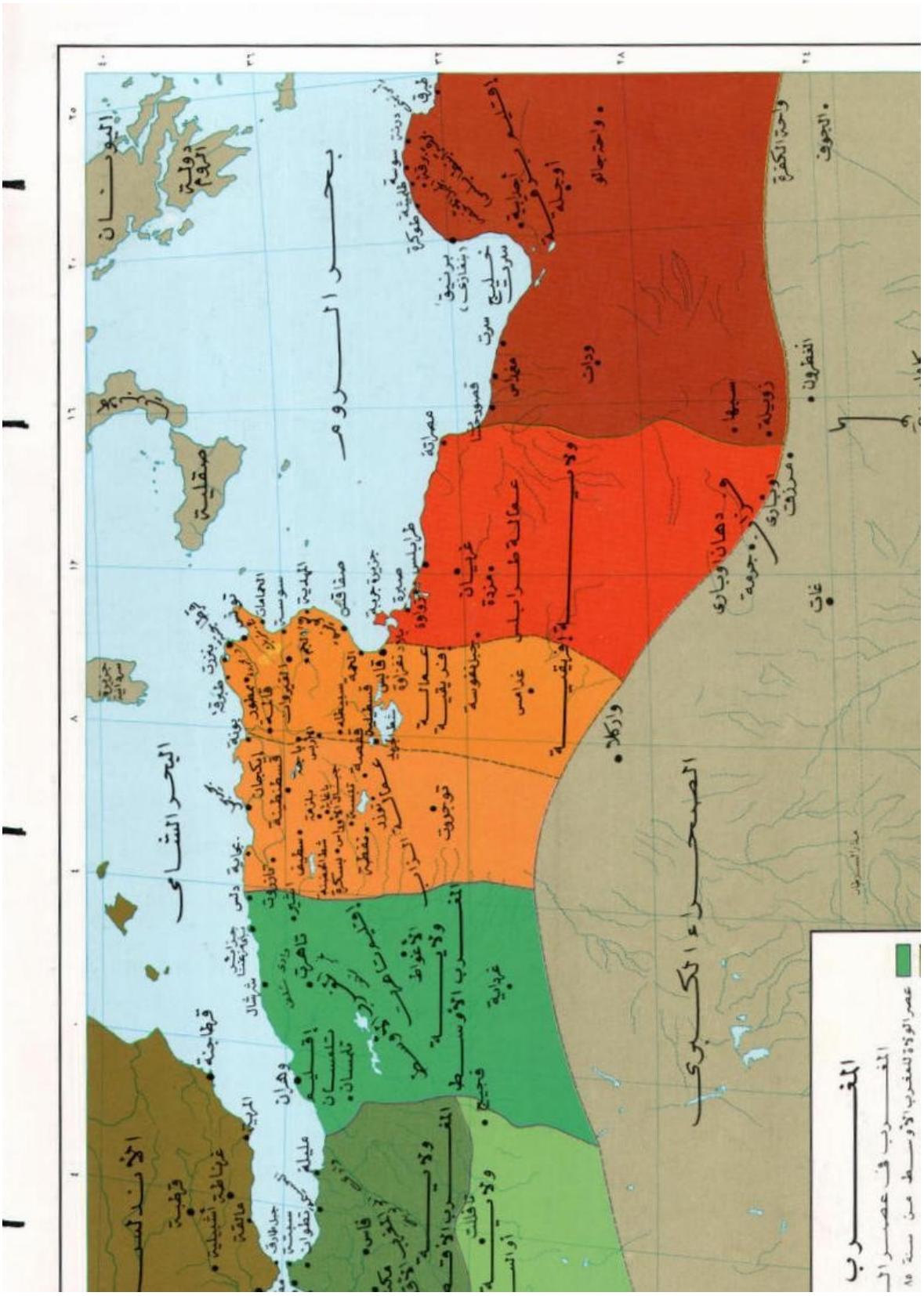

المصدر: حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 159.

الملحق رقم 03: خريطة تبين المجال السياسي لدول المغرب الإسلامي

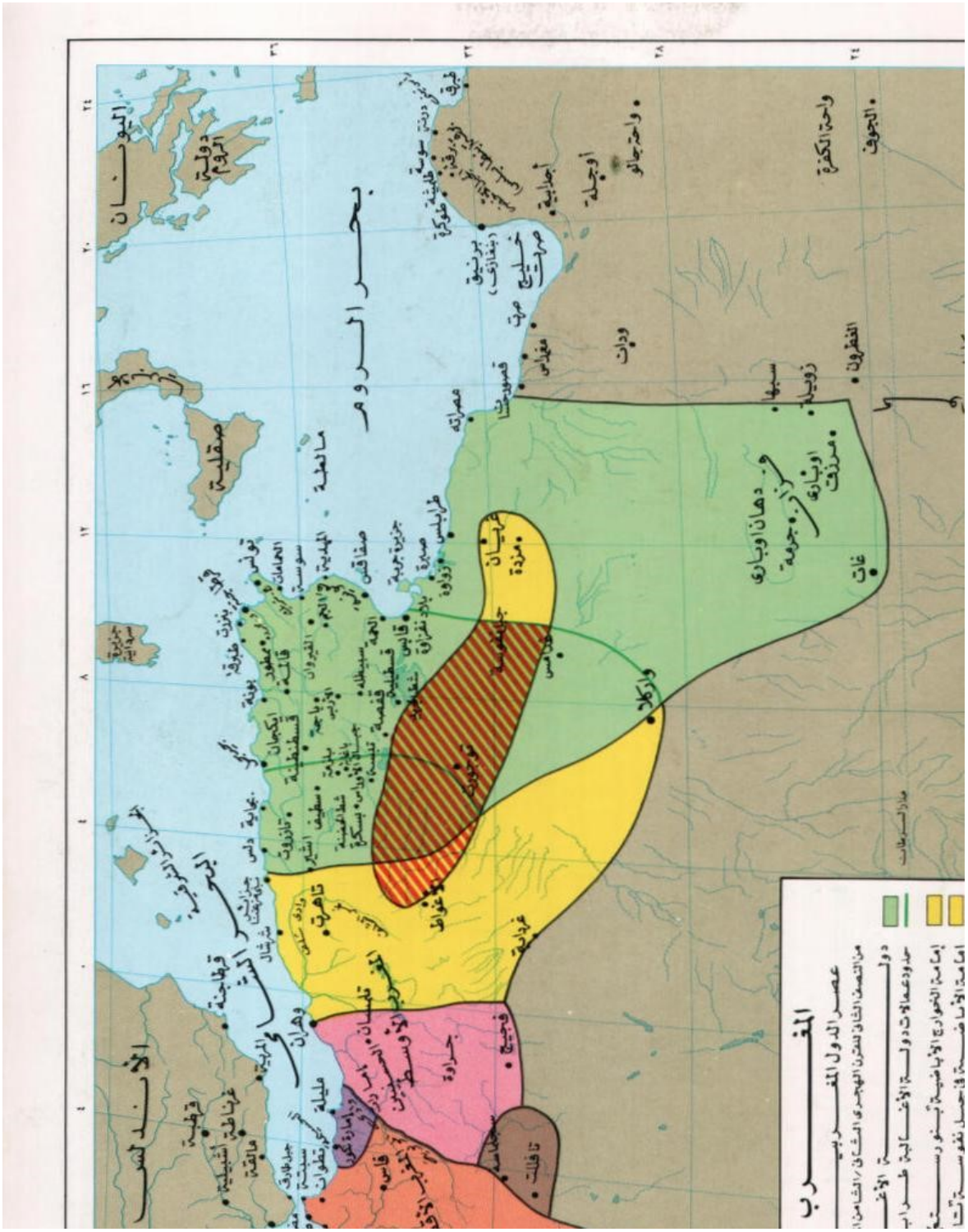

المصدر: المصدر: حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 158.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

– القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ليس بشعر ولا بنثر، ولكنه كلام الله أنزله على النبي محمد.

1. ابن الأثير (عز الدين)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1992م.

2. الإدريسي (الشريف): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2002م.

3. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله): تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، ج1، 1987م.

4. البغدادي (إسماعيل باشا): هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م، ج2.

5. البلوي، التاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي، الرباط.

6. ابن جبير (محمد بن أحمد): رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.

7. الحموي (ياقوت): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

8. الحميري (ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.

9. ابن حوقل (ابو القاسم النصيبي): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1938م.

10. ابن حوقل (ابو القاسم النصيبي): صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1996.

11. ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1، 2001م.

12. ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2001م، ج1.
13. الذهبي (أبو عبد الله محمد عثمان): مناقب الإمام أبو حنيفة، تح محمد زاهد الكوثري وآخرون، ط1، لجنة إحياء المعارف النعمانية، بيروت، لبنان.
14. العبدري محمد: الرحلة المغاربية، تحقيق وتقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ج2.
15. العمري (ابن فضل الله): مسالك الإبصار في ممالك الأمصار.
16. ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد): الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي ابو انور، دار التراث، القاهرة، 2019م.
17. الفهري (محمد بن عمر): ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة، تح محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج 5.
18. ابن القنفذ (ابو العباس أحمد الخطيب): أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
19. المقدسي (البشاري): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط3، 1991م.
20. المقري (احمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت 1988، م2.
21. ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 2.
22. الوزان (محمد بن الحسن): وصف افريقية، تحقيق وترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.
23. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

المراجع:

24. إبراهيم (بن عبد الله السماوي): ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.
25. احمد (رمضان احمد)، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة عين شمس، جدة.
26. أغناطيوس (كراتشكوفسكي): تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، 1957م.
27. باشا (نجاة): التجارة في بلاد الإسلام من القرن الرابع إلى القرن الثامن من الهجري، منشورات الجامعة التونسية، م1979.
28. بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م.
29. التازي (عبد الهادي): رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 2005م، ج 1.
30. التبليسي (بشير رمضان): الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.
31. التبليسي (بشير رمضان)، وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.
32. الحجمة (نواف عبد العزيز)، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن للهجرة (12-14)م، دار السويدي، دار الأهلية، أبوظبي، الأردن، 2008م.
33. حدادي (أحمد): رحلة ابن رشيد السبتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغاربية، 2003م.
34. حسان (حلاق)، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط1، الدار الجامعية، بيروت، 1986م.
35. حسن (محمد فهيم)، أدب الرحلات، دار عالم المعرفة، الكويت، 1989م.

36. حسين (حمدي عبد المنعم)، تاريخ وحضارة المغرب والاندلس ، دار المعرفة الجامعية، 2005م.
37. حسين (محمود حسين): أدب الرحلة عند العرب دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
38. حلاق (حسان)، مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1996م.
39. الحميدي (عبد العزيز بن عبد الله): من مقاصد الحج، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، 1900م
40. الخورية (فؤاد)، مختصرات من تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار النهضة، 2006م.
41. الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 2006م، ج6.
42. زكي (محمد حسن): الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت،1981.
43. السالم (السيد عبد العزيز): تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 1999م.
44. السامرائي (فراس سليم)، جوانب من الحياة الفكرية لأهل المغرب في بلاد الشام بين القرنين القرنين 5– 9هـ، كلية التربية الأساسية قسم التاريخ، جامعة بابل.
45. الشامي (صالح الدين): الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1999م.
46. الشاهدي (الحسن): أدب الرحلة في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1985م، ج1.
47. الشريف (محمد بن حسن بن عقيل موسى): المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، دار الأندلس الخضراء، السعودية، ط1، 2000م.
48. ابن شريفة (محمد)، ابو تمام وابو الطيب في ادب المغاربة، دار الغرض الاسلامي، بيروت.

49. عبد الغني (سليمان) وأونال (سعد الدين)، تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين دراسة تاريخية ميدانية، مركز أبحاث الحج مكة المكرمة.
50. عمر (بن يحي محمد): مكة المكرمة أهمية الدور والمكان، المجلة العربية العدد العاشر، 2006م، الرياض.
51. الفقي (عصام الدين عبد الرؤوف): تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق.
52. فيلالي (عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1.
53. قنديل (فؤاد): أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002م.
54. الكردي (علي ابراهيم)، ادب الرحل في المغرب والاندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م.
55. الماسي (محمد مختار)، المذهب المالكي، مركز زايد، أبو ظبي، 2002م.
56. محمد (الفيومي)، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والاندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م.
57. محمود (أحمد): جامع عمر بن العاص، المطبعة الأميرية بولاية القاهرة، 1938م.
58. محمود (فروان)، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي (1600-296م)، إشراف بالعربي خالدة جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس 2018م.
59. المنيع (الجوهرة بنت عبد الله): الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية في الفترة (1338- 1473هـ / 1960 - 1953م)، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1431هـ.
60. مؤنس (حسين): ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، الإسكندرية، 2003م.
61. ناصر (حياة الحجي)، صور من الحضارة العربية في سلطنة المماليك، دار العليم للنشر والتوزيع، كويت، 1995م.

62. نواب (عواطف محمد يوسف)، الرحلات المغربية والاندلسية في بلاد الشام الفترة الممتدة في القرنين السابع والثامن هجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1992م.

63. نواف (عبد العزيز حجمة)، رحالة الغرب الاسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس الى القرن الثامن هجري، دار السويدي، دار الاهلية، ابو ظبي، ط1، 2008.

مذكرات:

1.نهاية (فؤاد فريد مسعود): المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن 13م/7هـ، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا، اشراف عامر القبح، جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين 2018م.

2.النعيمي (سعاد)، سهام يحياوي: الرحلات الاندلسية الى بلاد المشرق الاسلامي من خلال كتاب نفح الطيب، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2021/2020م.

3.شيماء (عطايلية)، رانية (درارجة): الرحلة العلمية للمغاربة الى المشرق من القرن 1-6هجري، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة8ماي1945، قالمة.

4.عميرة (خولة)، بوقفة (ايمان): صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة للحسن الوازن "وصف افريقيا"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، كلية الآداب واللغات الاجنبية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 2020/2019م.

5.ربيعة (صحراوي): رحلة علماء المغرب الاوسط مشرقا وتأثيرها في الحياة الثقافية بالمغرب "عهد الموحدين"، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة 2019/2018م.

6.الزوارية (حياة رؤوف): العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين السابع والتاسع الهجري، شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمه لخضر، الوادي 2020-2021م.

7.بوعلام (صالح): الحياة العلمية في إفريقيا في عصر دولة الأغالبة، أطروحة نيل الدكتوراه جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2002م.

8.إيمان (الحميدي): العلاقات العلمية بين الاندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستر، جامعة ام القرى، مكة مكرمة.

المجلات:

1.حارث علي (عبد الله): "التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتب الفتاوى – فتاوى ابن الرشيد، الرازي النموذجي-"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، ع4، 2019م.

2.الشرع ماجدة (مولود رمضان): "نمطية الحياة العلمية في حواضر المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، دورية كان التاريخية، مج 13، ع47، 2020م.

3.عبد القادر (بوباية): "علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس"، مجلة التراث العربي قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، ع99، 100، 2005م.

فهرس المحتوى

عنوان المحتوى	الصفحة
كلمة شكر واهداء.....	–
مقدمة.....	أ
الفصل الأول: رحلات الحج... المفهوم والدوافع والمسالك.....12	
المبحث الاول: المفهوم والمقاصد.....	13
المطلب الاول: تعريف الرحلة.....	13
المطلب الثاني: تعريف الحج.....	14
المطلب الثالث: مقاصد رحلات الحج	14
المطلب الرابع: ضبط المجال الجغرافي لبلاد المشرق والمغرب الاسلامي.....	15
المبحث الثاني: دوافع رحلات الحج.....	17
المطلب الأول: الدافع الديني.....	17
المطلب الثاني: الدافع العلمي.....	18
المطلب الثالث: الدافع التجاري.....	19
المطلب الرابع: الدافع السياسي.....	20
المبحث الثالث: المسالك وصعوبات.....	21
المطلب الأول: المسالك والطرق.....	21
المطلب الثاني: الصعوبات والمعيقات.....	23
الفصل الثاني: نماذج من رحلات الحج المغاربية.....**27**	
المبحث الاول:رحلة الحج في العهد المرابطي القرن الخامس والسادس هجري	28
المطلب الاول:رحلة الحج في العهد المرابطي القرن الخامس هجري.....	28
المطلب الثاني: رحلة الحج في العهد المرابطي القرن السادس هجري.....	29
المبحث الثاني: رحلة الحج في العهد الموحدي القرن السادس والسابع هجري	31
المطلب الأول: رحلة ابن رشيد الفهري	31
المطلب الثاني: رحلة أبي عبد الله العبدري.....	31

المطلب الثالث: رحلة ابن سعيد..... 32
المبحث الثالث: رحلة الحج في العهد الزياني بين القرن 7 و10 هجري..... 32
المطلب الاول: رحلة ابن بطوطة..... 32
المطلب الثاني: رحلة البلوي 33
الفصل الثالث:أثر رحلات الحج على بلاد المغرب الاسلامي.....34
المبحث الأول:المراكز العلمية والدينية في المشرق الاسلامي..... 35
المطلب الاول: مكة المكرمة 35
المطلب الثاني: المدينة المنورة:..... 36
المطلب الثالث: بيت المقدس..... 37
المطلب الرابع: مصر..... 38
المبحث الثاني:التواصل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب الاسلامي..... 42
المطلب الأول: التبادل العلمي بين الأندلس وبلاد المغرب..... 42
المطلب الثاني:التبادل العلمي بين الأندلس والشام والحجاز..... 46
المطلب الثالث: التبادل العلمي بين الأندلس ومصر والعراق..... 47
المبحث الثالث: أثر رحلات الحج على الحياة الدينية في بلاد المغرب..... 49
المطلب الاول: دورها في انتشار المساجد والكتاتيب ببلاد المغرب..... 49
المطلب الثاني: دورها في دخول علوم القرآن والمذاهب الفقهية للبلاد..... 50
خاتمة..... 52
الملاحق 54
قائمة المصادر والمراجع..... 58
فهرس المحتويات..... 66

ملخص:

تستعرض المقدمة أهمية الرحلات وأهدافها المتعددة، مع التركيز على رحلات الحج كأحد أهم الرحلات في تاريخ العالم الإسلامي، مشيرة إلى أن المسلمين المغاربة مارسوا هذه الرحلات منذ القرون الهجرية الأولى، وقام بعض الرحالة بتدوين تفاصيل رحلاتهم. تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على دور رحلة الحج في الحياة الثقافية والفكرية، نظراً لقلة الدراسات الأكاديمية المفصلة حول هذا الموضوع، من خلال بحث نماذج من رحلات الحج وتوضيح أهميتها، والتعرف على آثار هذه الرحلات على بلاد المغرب الإسلامي. تتناول الدراسة إشكالية تميز رحلات الحج من المغرب إلى المشرق خلال العصر الوسيط وتأثيرها على بلاد المغرب الإسلامي، وتطرح تساؤلات حول دوافع الرحلة، المسالك والصعوبات التي واجهها الحجاج، وأبرز الرحالة بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين.

الكلمات المفتاحية: **الرحلة، الحج، المغرب الإسلامي، المشرق الإسلامي، الرحلة العلمية.**

Summary;

The introduction reviews the importance and various objectives of journeys, with a focus on Hajj pilgrimages as one of the most significant journeys in the history of the Islamic world. It notes that Maghreb Muslims have undertaken these pilgrimages since the early Hijri centuries, with some travelers documenting the details of their journeys. The study aims to highlight the role of the Hajj pilgrimage in cultural and intellectual life, given the lack of detailed academic studies on this subject. This is achieved by examining examples of Hajj pilgrimages, clarifying their importance, and understanding their impact on the Islamic Maghreb region. The study addresses the issue of the distinctiveness of Hajj pilgrimages from the Maghreb to the East during the medieval period and their influence on the Islamic Maghreb. It raises questions about the motivations for the journey, the routes and difficulties faced by the pilgrims, and the most notable travelers between the fifth and tenth Hijri centuries.

Keywords: Journey, Hajj, Islamic Maghreb, Islamic East, Scholarly Journey.